فصل 15

العالم

obeikandl.com

obeikandl.com

أديان مصغّرة

هل تتذكر غلاف نيويوركر New Yorker للمحاكاة الساخرة عن الطريقة التي يرى بها أهل نيويورك العالم؟ أظهرت الصورة الجادتين التاسعة والعاشرة، ثم نهر هدسون؛ ثم باقي الولايات المتحدة كله على مساحة نحو ثلاثة أبنية في نيويورك، مع لصاقات مثل «شيكاغو» و«لوس أنجلوس»؛ ثم بعيداً على نحو غير واضح، لكنه ليس مبهماً تماماً، أراضي الصين، واليابان وروسية.

أتذكر ذلك الرسم في كل مرة أفكر فيها في الطريقة التي ننظر بها نحن الأمريكيين إلى الدين، ليس هنا فقط في الولايات المتحدة وإنما في كل أنحاء العالم. أولاً، نظن أن هناك بروتستانتاً وكاثوليكاً، مع بعض الأقسام المتمايزة ضمن البروتستانت. ثم، هناك أعداد قليلة متناثرة من اليهود والمسلمين في بعض أكبر المدن الأمريكية، وبالطبع الكثير من المسلمين في الشرق الأوسط. يعيش المورمن في يوتاه. وفيما يتعلق بالعالم، نحن واثقون تماماً أن الهندوسية والبوذية منتشرة تماماً في مناطق مثل الهند؛ وأن في كل من إفريقيَّة والصين أدياناً تقليدية، على الرغم من أننا لا نعرف تماماً كيف يتوافق الدين الصيني والشيوعية معاً. تعتنق كثير من أديان أخرى مجموعات صغيرة، وربما «ضئيلة».

إضافة إلى ذلك، نظن أن الديانتين الكبيرتين -النصرانية والإسلام- تصبحان أكثر أهمية لمعتنقيهما - راقب ازدياد عدد الكنائس الضخمة في الولايات المتحدة، وشيوع مد الأصولية الإسلامية في الشرق الأوسط. لكن بالمحصلة، نظن أن الدين الحقيقي في العالم ينبغي أن يكون أقلية -أو أنه على الأقل يشهد تراجعاً- نظراً للانتشار المحسوس للعلم، والتعليم، والعلمانية عالمياً. بالمحصلة، ألا نسمع باستمرار كيف أن الأمريكيين بعيدون عن الدين؟ وكيف أنه في أماكن مثل فرنسة وألمانية، لا يشكل المواظبون على الذهاب إلى الكنيسة سوى أقل من 10 %؟

obeikandl.com

لهذا، إليك بعض الحقائق المهمة التي ستعيد تشكيل تفكيرنا في هذا المجال. أولاً، بالرغم من توقعات العديد من علماء الأديان المعاصرين في النصف الثاني من القرن العشرين، لم يصبح العالم، في الواقع، أكثر علمانية مع تقدم الزمن. في سنة 1968، أخبر عالم الاجتماع الأمريكي بيتر بيرغر نيويورك تايمز أنه «بحلول القرن الحادي والعشرين، لن يتم العثور على الأرجح على أتباع أديان سوى في مناطق صغيرة جداً، مجتمعين معاً لمقاومة ثقافة علمانية عالمية». بعد أربعين سنة تقريباً، في سنة 2006، أخبر الأستاذ نفسه بيرغر مؤتمراً عالمياً للأديان أن نظريته كانت خاطئة تماماً. لا نعيش في عصر العلمانية، كما قال، وإنما في عالم «يتغلغل فيه الدين بقوة».

نعم، وإليك الحقائق. وفقاً لموسوعة النصراني العالمية، وهي دراسة وتحليل للمكونات الدينية لكل العالم، هناك قرابة 10.000 دين منفصل ومختلف في العالم - مع ظهور دينين أو ثلاثة كل يوم. ربما يشهد الأمريكيون ازدياد عدد الكنائس الضخمة -التي تنتشر على مساحات واسعة وتقدم كل شيء من التنوير الديني إلى رحلات القوارب للمراهقين- لكن عالمياً، العكس هو الصحيح. ما يزدهر هو الأديان المصغّرة: مجموعات صغيرة، جديدة لا تكاد تثير الانتباه من أتباع شديدي الإيمان بها.

هذا، بالطبع، مثال ممتاز عن النزعات المصغّرة. بالرغم من أننا نريد جميعاً فهم الدين عبر عدد من النزعات الكبيرة العالمية -مثلاً: «النصرانية تتحرك جنوباً»، و«الإسلام يتحرك يميناً»- الحقيقة أن الدين في أنحاء العالم اليوم يتكون من مجموعات مجهرية، شديدة الإيمان بأديانها، تتطور باستمرار، وتغير بين شد وجذب مشهد الإيمان.

من بين 9900 دين حددتها موسوعة النصراني العالمية، بعضها طوائف مباشرة من الإسلام أو النصرانية - مثل 8 ملايين أحمدي، وهي فرقة إسلامية تتخذ من باكستان مقراً لها، أو 300.000 مؤمن ببركة تورنتو، حركة نصرانية تتخذ من كندة مقراً لها. العديد منها هجين من أديان تقليدية، مثل 20 مليون أومباندن في البرازيل، الذين يمزجون، وفقاً للموسوعة، ديانة يوربان الإفريقية التقليدية مع معتقدات الأمريكيين الجنوبيين، أجزاء من الكاثوليكية، والروحانية الفرنسية من القرن التاسع عشر.

من ينضم إلى الحركات الدينية الجديدة كما تدعى؟ يقول الخبراء: إنه ليس هناك نمط شخصي معين لمن ينضم إليها. يعبّر الشبان الذين ينضمون إلى تلك الحركات عن استقلاليتهم. يبحث الأشخاص الأكبر سناً عن الراحة التي لم تستطع حياتهم توفيرها لهم. تتحول مجموعات عرقية أو قومية معينة -مثل أفارقة تعرفوا على النصرانية- إلى معتقد هجين؛ لأنه يمزج الدين الجديد مع التقاليد الشعبية. كل معتنقي الأديان الجديدة تقريباً يبحثون عن مجتمع، وعلاقات، وتضامن، وإلهام، وهدف. يثبت التنوع الكبير في الحركات الدينية الجديدة أن الانتساب إلى مجموعة لديها اهتمامات مشتركة -معيار النزعة المجهرية نفسه- قوة محركة في الحياة بغض النظر عن الانضباط الذي ينطوي عليه ذلك.

تنوع ونشاط أديان العالم مهم لأسباب متعددة. أولاً: العديد من تلك «الأديان المجهرية» - يمكنك أن تكون واثقاً أنها لم تظهر على خريطة تشبه رسم نيويوركر New Yorker المذكور آنفاً - كبيرة تماماً. مثلاً، يتفوق 20 مليون أومباندان عددياً على يهود العالم بضعف ونصف، وعلى يونتاريان (طائفة نصرانية تنكر عقيدة الثالوث) بعشرين ضعفاً. إنها وجهة نظرنا التي تهمّش تلك الأديان، وليس عدد أتباعها.

ثانياً: في حين يستمر التوتر بالازدياد بين الإسلام ومعظم الغرب، يوضح المليارات من أتباع الديانات الصغيرة في العالم أن لغة «صراع الحضارات» اقتصرت حتى الآن على ذلك. نعم، بعض قطاعات الإسلام تحارب بعضاً من النصارى الذين يهاجمونها، لكن عندما يتعلق الأمر بتأثير النزاع الديني على العالم، الصورة الأكثر دقة هي أن مليارات الناس يعتنقون آلاف الأديان، وستدفع التوترات التي يمكن أن تنجم عن ذلك -سواء من ناحية الإبداع أو العنف- إلى إحداث تغييرات في العالم مشابهة لما يدعى «الموجة» الإسلامية - النصرانية التي تلفت الكثير من الانتباه إليها.

ثالثاً: يتوقع الخبراء أن التغير الذي يطول الأديان اليوم من تفتت، وتطور، وتشعّب سيصبح على الأرجح أكثر حدّة. يقول بعضهم: إن السبب يعود إلى تراجع نفوذ الأديان التقليدية (العلمانية التي انتشرت في الستينيات والسبعينيات)، وأن المزيد من

المحاولات الدينية المتنوعة قد ضربت جذورها عميقاً. في ذلك السياق، لا يدل الإسلام على «صراع الحضارات»، وإنما يعد مثالاً على نزعة مجهرية قوية، ويثبت أن الانتباه لمجموعات دينية غير ظاهرة للعيان مهم عندما تختار هذه المجموعات العنف وسيلة لتحقيق أهدافها.

يوصلنا هذا إلى السبب النهائي الذي يجعل أدياناً صغيرة مهمة جداً. ربما يشكل علماء تلك الحركات الدينية الجديدة أحد أهم موارد تطبيق القانون. على الرغم من أن معظم الأديان الـ9900 تسعى لتحقيق السلام، والراحة، والطمأنينة الروحية، إلا أن هناك عدداً منها، دون شك، تميل إلى التشدد والعنف. يلجأ مكتب التحقيقات الاتحادي حالياً، والأجهزة الشبيهة به في كل أنحاء العالم، إلى خبراء الحركات الدينية الجديدة لمساعدتهم في فهم أي المجموعات التي لا تنمو فقط، وإنما تشكل مصدر تهديد أيضاً.

وإذا وضعنا العنف جانباً، تنمو أديان صغيرة أخرى في قدرتها الكبيرة على التحول. على الرغم من أن مجموعات صغيرة ربما تبدو هامشية الآن، إلا أنه ينبغي أن نتذكر دائماً أن أعظم أديان العالم بدأت مع ثورة شخص واحد انشق عن المعتقد السائد. كان إبراهيم (عليه السلام) محطم الأوثان ثائراً، وكذلك المسيح (عليه السلام)، ومحمد (عليه الصلاة والسلام)، ومارتن لوثر. لم يكن أحد تقريباً يأخذ طائفتي المورمن أو الأصدقاء النصرانية على محمل الجد، وقد أصبحتا الآن جزأين ثابتين من المشهد الديني الأمريكي.

الدين يتفتت، والقدرة على جعل عدد كبير من الناس ينضوون تحت راية دين واحد تتضاءَل. الواضح أن الإسلام، الذي يبدو لمعظم الغرب متماسكاً تماماً، قد تحول ليضم العديد من الطوائف المتنازعة. لكن هذا صحيح مع كل الأديان. يزداد عدد الذين يعتنقون ديناً منظماً، لكن فقط عبر العديد من المنظمات. الدين، الذي كان بصراحة جزءاً من اقتصاد فورد، يتحول الآن إلى اقتصاد ستاربكس؛ ليتناسب مع احتياجات كل فرد. هذه الأيام، يمكنك أن تنتقي إيمانك والمجموعة التي تصلي معها بأشكال شديدة التنوع عملياً كما تختار قهوتك الصباحية. هذا يعني حشوداً أقل على مقاعد الكنيسة، لكنها كما يبدو أكثر سعادة.

مشترو المنازل الأجانب

اسأل أي سمسار عقارات –حقيقي أو شخصية افتراضية تظهر على التلفاز– ما أهم شيء في المنزل، فسيقول: «الموقع، الموقع، الموقع». يمكنك أن تهدم أي منزل وتبنيه من جديد، لكنك لا يمكنك وضعه على شاطئ محيط، يطل على جبل، أو قرب نظام مدارس محلية رائع إذا لم يكن هناك أصلاً. يعتمد شراء منزل أساساً على المكان.

ما يجعل الأمر مثيراً جداً للاهتمام هذه الأيام أن المواقع الأفضل في أمريكة يتم شراؤها من قبل أشخاص من خارج الولايات المتحدة. نعرف جميعنا أن العولمة تعني استبدال الحدود التجارية التي تفصل القارات والأسواق بنظام واحد متناسق. إذا كنت تظن أن محيطاً أو اثنين سيمنعانك من التنافس مع أجانب عندما يتعلق الأمر بشراء منزل، يستحسن أن تعيد التفكير في الأمر. يمكن أن تكون ملكية الأجانب لعقارات سكنية في الولايات المتحدة النزعة الأكثر بروزاً في السوق. يتساءل الجميع لماذا ترتفع أسعار شقق نيويورك باستمرار على الرغم من أن عدد السكان بقي ثابتاً؟ الإجابة هي ارتفاع المنافسة على المساحة نفسها، التي يأتي معظمها مما وراء البحار. ربما تكون الحكومتان الصينية والكورية تشتريان سنداتنا، لكن الطبقات المخملية من كل أنحاء العالم تسعى لامتلاك عقارات أمريكية. المدهش أنه لا توجد سجلات ثابتة عن ملكية الأجانب لمنازل في الولايات المتحدة، لهذا علينا تجميع أجزاء القصة معاً من قصاصات معلومات من هنا وهناك.

وجدت دراسة عن «سماسرة فلوريدا» سنة 2005 أن 87 % منهم أنجزوا على الأقل صفقة واحدة مع مشترٍ دولي في الشهور الاثني عشر السابقة، وكان لدى نحو 10 % منهم عملاء أجانب. اشترى أجانب أكثر من 30 % من المنازل المعروضة للبيع في ميامي–فورت لودرابل سنة 2005، و15 % من كل مبيعات المنازل في الولاية.

لكن النزعة ليست خاصة بفلوريدا فقط. قدّر خبير عقارات في نيويورك أن المواطنين الأجانب شكّلوا ثلث عدد مشتري الشقق في مانهاتن سنة 2004، ارتفاعاً من الربع فقط سنة 2003. تعود ملكية أكثر من 10 % من بعض العقارات في لاس فيغاس إلى أجانب كانوا قد اشتروها قبل حتى أن يتم بناؤها. كانت هيوستن، وأتلانتا، وشيكاغو، وكولورادو قد شهدت كلها ارتفاعاً في عدد الأجانب الذين يشترون منازل فيها. وترى الشركات الأمريكية التي تعرض منازل فخمة المزيد من المشتركين الدوليين لمجلاتها ومواقعها الإلكترونية، وتفتتح شركات عقارات مثل سينشري 21, 21 Century وكريستيز غريت إيستيت Cristie's Great Estates المزيد من المكاتب في كل أنحاء العالم.

تتنوع دوافع وحوافز الأشخاص الذين يشترون عقاراً في قارة مجاورة – بناءً على المشترين.

- الأوروبيون. في السنوات القليلة الماضية، ارتفع اليورو أكثر من 50 % مقابل الدولار، وارتفع الجنيه البريطاني 35 %. (حتى الدولارين الكندي والأسترالي ارتفعا بنسبة 30 و40 % مقابل الدولار الأمريكي). نتيجة لذلك، بدت المنازل الأمريكية رخيصة على نحو لافت للنظر مقارنة بالعقارات في تلك الدول. وهل ذهبت مرة إلى تلك السواحل الصخرية في إنكلترة أو السهول في ألمانية؟ يشكل رمل فلوريدا الناعم وميكي ماوس عاملي جذب كبيرين بالنسبة لجيراننا الأوروبيين.

- سكان أمريكة الجنوبية والوسطى. يحب مشترون من فنزويلا، وكولومبيا، والبرازيل، والمكسيك الأمان السياسي والاقتصادي في أمريكة، ويعدّون منازل الولايات المتحدة استثماراً مضموناً ومكاناً آمناً يعيشون فيه، في حال ازداد عدم الاستقرار في بلادهم. يقدّرون أيضاً الحرية الشخصية والسياسية التي تضمنها الولايات المتحدة، ناهيك عن ذكر التسوق. يُضاف إلى ذلك مناخ وبيئة جنوب فلوريدا وتكساس الشبيهتين ببلادهم اللتين تنتشر فيهما اللغة الإسبانية، ولهذا يسعون بشدة للحصول على منازل في الولايات المتحدة.

- الآسيويون. مع تنامي اقتصاديات الدول الآسيوية والتدفق المتزايد للتجارة بين الشرق والغرب، كان امتلاك مسكن في الولايات المتحدة قد أصبح على نحو متزايد جذّاباً للعديد من العائلات الآسيوية. ويقوم سماسرة الولايات المتحدة بخدمتهم على أكمل وجه، تسمية الشقق الفخمة بالصينية وإقامة حفلات غداء من المطبخ الآسيوي.

بوجه عام، كان انخفاض أسعار تذاكر الطيران عالمياً قد سهّل الوصول إلى المنزل الثاني، إضافة إلى زيارة دول أجنبية في المقام الأول - يقول السماسرة: إن ذلك يكون دائماً الخطوة الأولى لشراء منزل في دولة أخرى. إضافة إلى ذلك، هناك أدوات جديدة مثل الرهن العقاري بعملات متعددة، التي تسمح لك بالحصول على عقار في الخارج بعملتك المحلية، ثم تحويلها عندما تصبح معدلات الفائدة في البلد المضيف أفضل، التي مهّدت الطريق لمشتري منازل في دول أخرى. وتعدّل عدد من المصارف الأمريكية سياساتها؛ لتسهّل على مواطنين أجانب يدفعون ضرائب أمريكية الحصول على قروض لشراء منازل.

في نيويورك، كان دونالد ترمب عاملاً رئيساً في فتح المدينة للأجانب. كانت معظم الأبنية في نيويورك تعاونية، ونظراً لأنه يمكن لأي بناء تعاوني رفض أي شخص لأي سبب، ينظر القائمون عليها بحرص شديد إلى مؤهلات المشترين الأجانب. لكن ترمب فتح الشقق أمام الجميع، وأصبحت مبيعات الأبنية غير منظمة؛ لأنها تعرض شققاً، وليس حصصاً من أسهم. بعد أن أصبحت الأبنية معدّة للبيع، تقاطر المشترون الأجانب إليها.

عموماً، ازداد إقبال الأجانب على شراء منازل، وكان متوسط سعر منزل اشتراه أجانب في فلوريدا سنة 2005 نحو 300.000 دولار، وتتجاوز تكلفة 1 تقريباً من كل 4 منازل 500.000 دولار. لكن في حين تكبر الطبقة الوسطى في آسية وكل مكان آخر من العالم، توقّع أن تتسع هذه الممارسة.

وتشكل مشتريات المنازل من قبل أجانب مسألة في غاية الأهمية، حتى خارج إطار المشترين وعملائهم. يمكن لازدياد أعداد المشترين الدوليين أن يكون له بعض التأثيرات

على مهنة بيع العقارات وشرائها، كأن تعدّل المزيد من المصارف قوانينها الخاصة بالقروض المنزلية. (إذا توقف مشترون أجانب عن الدفع نقداً، يمكن أن يصبحوا أقل جذباً للبائعين في الولايات المتحدة). يمكن أن تبرز تعديلات في ثقافة شراء المنازل؛ وسيودّ مشترون أجانب من بعض الدول خفض عروضهم، والمساومة بقوة حتى النهاية، والاقتصاد في الأموال المخصصة للإنفاق على المنزل – مثل الأثاث، أو رواتب المشرفين عليه.

يمكن أن تؤثر العولمة على تصميم المنزل، أيضاً. الواضح أن بعض المشترين من الشرق الأوسط لا يحبون أن تكون المطابخ قريبة من فسحة الترفيه؛ لأنه ليس من المعتاد أن يراقب الضيوف النساء وهن يقمن بإعداد الطعام؛ ولا يحب بعض المشترين من أمريكة اللاتينية وجود غرف نوم رئيسة بعيدة جداً عن غرف الأطفال.

لكن الأكثر أهمية، يدفع مشترو المنازل من دول أخرى أسعار البيوت للارتفاع. عندما يشتري غير المواطنين نحو ثلث الشقق في مانهاتن، يدفع ذلك جزءاً كبيراً من المشترين الأمريكيين متوسطي الدخل إلى مناطق أرخص من مانهاتن، ويجبرون عدداً جيداً من مشتري الدخل المنخفض نحو كوينز. على مستوى الرفاهية، أيضاً، ربما يدفع الفنزويليون أسعار الشقق في ميامي للارتفاع الشديد – لكن إذا كان هناك كساد اقتصادي في كراكاس، وقصّروا في دفع ديون منازلهم، ربما يجد جيرانهم الأمريكيون أنفسهم قرب منازل منخفضة القيمة. يمتد التداخل المتزايد لاقتصادياتنا الآن إلى معظم المشتريات المحلية – العقارات.

تظن بعض شركات بناء المنازل أن هذه النزعة تستحق الاهتمام بها. في بداية سنة 2007، واستجابة لقيام مصارف بتسهيل حصول مشتري منازل أجانب على قروض، قدّم أحد المشرّعين في كاليفورنيا مشروع قانون يجعل قيام المصارف بتقديم قروض لمشترين ليست لديهم «أرقام ضمان اجتماعي» أمراً مخالفاً للقانون. حتى الآن، تم رفض مشروع القانون على نطاق واسع؛ لأنه قومي متعصب وغير ضروري. لكن ربما لا يكون ذلك صحيحاً دوماً. على الرغم من أن أمريكة فخورة بدورها في الاقتصاد العالمي، إلا

أنها في الواقع ليست فخورة كثيراً بقيام أجانب بشراء عقارات أمريكية بمعدلات أعلى من شراء أمريكيين منازل في الخارج. جرّب فقط شراء شقة في المكسيك أو منزل في برمودا، واكتشف العراقيل التي تظهر أمامك.

ونحاول حماية ممتلكاتنا المحلية. في سنة 2006، عندما عرف الأمريكيون أن الولايات المتحدة على وشك التخلي عن ملكية بعض أجزاء من نيويورك لشركة مملوكة لحكومة دبي في الإمارات العربية المتحدة، كانت هناك صرخة قومية عالية استمرت أسابيعَ وأدّت إلى إلغاء القرار. في سنة 2005، عندما كانت شركة النفط أونوكال Unocal التي تتخذ من كاليفورنيا مقراً لها على وشك أن تُباع إلى شركة صينية بدعم من الحكومة الصينية، كان هناك رد فعل سلبي أدّى إلى سحب العرض. ابتداءً من سنة 2007. لم يكن الأمريكيون سعداء لأن اليابان والصين تمتلكان أكثر من 1 تريليون دولار من السندات المالية للولايات المتحدة.

إن شراء منازل فخمة واحداً تلو الآخر، في عدد من المدن الأمريكية في كل أنحاء الولايات المتحدة، لا يشبه البتة «الاستيلاء» على البنى التحتية، أو الشركات الكبرى، أو العملة الأمريكية. لكن هل حان الوقت لنقوم على الأقل بقياس نزعات المشتريات الأجنبية لمنازل أمريكية؟

سارع خبراء السياسة الخارجية للإيضاح بأن أغلبية الأمريكيين يفضلون الارتباط الدولي، ويرفضون فكرة الانعزالية التي تقول: إن على الولايات المتحدة أن «تنظّم أعمالها دولياً وتسمح لدول أخرى بأن تبذل أفضل ما بوسعها فيما يخص الأعمال الخاصة بها». نعم، لكن من ناحية أخرى، ارتفع عدد الأمريكيين الذين يوافقون على فكرة الانعزالية تلك كثيراً بين سنتي 2002 و2005 – من 30 إلى 42 %، وهو أعلى معدل موافقة منذ بدأت الدراسة سنة 1960. وعلى الرغم من أن الأمريكيين، بكل وضوح، يوافقون على «الاستثمار» الأجنبي (53 %) أكثر مما يوافقون على «الملكية» الأجنبية (33 %)، إلا أنه من الصعب الإثبات أن شراء المنازل أقرب إلى الملكية منه إلى الاستثمار – خاصة عندما

يقول أكثر من نصف المشترين الأجانب، على الأقل في المسح الذي تم إجراؤه في فلوريدا سنة 2005: إنهم اشتروا منازلهم لقضاء العطلة و/أو العمل، وقال ثلثهم فقط: إنهم اشتروها للاستثمار.

على الجانب الآخر من قطعة النقود، إذا كنت مشترياً أجنبياً لعقار أمريكي، فربما ترغب في إلقاء نظرة متأنية على استثمارك - هل باعوك الطوابق الأرضية من بناء يطل على المحيط، ولا يمكنك رؤية المحيط منه؟ هل دفعت عمولة العقار كاملة، فيما حصل آخرون على اقتطاع؟ نظراً لأن العديد من المشترين الأجانب يبحثون فقط عن بعض المتعة ومكان آمن لوضع أموالهم تحسباً لتدهور اقتصادهم المحلي، يمكن أن يسارعوا إلى الضغط على الزناد دون أن يتمهّلوا في البحث مثل مشترين أمريكيين. من ناحية أخرى، بالرغم من أن شراء عقار أمريكي له محاذيره، إلا أنه ربما يكون في الواقع أسهل -فيما يتعلق بالأنظمة الأمريكية، والحاجة لأرقام الضمان الاجتماعي، والتأكد من حالة العميل الائتمانية- من شراء أسهم وسندات. لهذا بغض النظر عن إمكانية الشراء، وكما يقول بورات: «أهلاً إلى أمريكة».

obeikandl.com

علاقة وكلٌّ في منزله (المملكة المتحدة)

تكلمنا سابقاً عن «لَبَوات» – نساء يواعدن رجالاً أصغر عمراً، وغالباً دون التزام طويل. استكشفنا أيضاً «زواج المسيار»، وهم أشخاص يتزوجون، لكنهم يعيشون في منازل منفصلة، على الأقل في أثناء أيام العمل. هناك الآن منعطف آخر في الخروج عن المألوف في الحياة العائلية: شخصان يلتزمان مع بعضهما وقتاً طويلاً ويعيشان في المدينة نفسها، لكن في منزلين منفصلين.

هذه النزعة أكثر شيوعاً في بريطانية العظمى، وابتداءً من سنة 2006، يلتزم زهاء 1 مليون ثنائي ببعضهما – ويعيشان تحت 2 مليون سقف.

أصبح الزواج عتيق الطراز بما يكفي. انخفض معدل الزواج البريطاني (نسبة الأشخاص المتزوجين لكل 1000 شخص) من 12 سنة 1991 إلى 9.2 سنة 2005، وفقاً لمكتب الإحصائيات الوطنية. لكن الآن، كما يبدو، أضحى حتى السكن المشترك دون زواج يرتب على الطرفين الكثير من الالتزامات. في عدّة دول أوروبية غربية، نمط الحياة الأسرع نمواً هو «علاقة وكلٌّ في منزله».

في بريطانية العظمى، يمثل هؤلاء زهاء 1 مليون ثنائي – 3 من كل 20 شخصاً تتراوح أعمارهم بين 16-59. ذلك يعني أن عدد الأشخاص الذين يلتزمون مع بعضهم مدة طويلة، ولا يعيشون معاً يساوي عدد أولئك الذين يلتزمون مع بعضهم مدة طويلة، ويعيشون معاً.

يزداد عدد الأشخاص الذين يدخلون في «علاقة وكلٌّ في منزله» بسرعة في أماكن أخرى، أيضاً. في هولندة، 1 تقريباً من كل 4 أشخاص بعمر 55 أو أكثر يعدون أنفسهم جزءاً من ثنائي إما غير متزوجين أو يعيشان معاً، وليست لديهما أي خطط لتغيير

obeikandl.com

وضعهما ذاك. يوافق 63 % من الهولنديين على وضع «زوجين شبه مرتبطين» هذا بغض النظر عن العمر.

في فرنسة، يُقدّر أن 2 إلى 3 % من الأزواج و7 إلى 8 % من المرتبطين يعيشون في مساكن منفصلة. وهنا في أمريكة الشمالية، قرابة 10 % من السكان الكنديين الذين يبلغون من العمر 20 سنة أو أكثر طرف في مثل تلك العلاقة. لم تسجل الولايات المتحدة رسمياً وجود هذه العلاقة، لكن يمكن أن تخمّن أنها ستفعل ذلك قريباً.

«علاقة وكلٌّ في منزله» هم اللاعبون الجدد في بانوراما العائلة اليوم، التي تتغير باستمرار.

وفقاً لعلماء سكان واجتماع يتابعون نزعة «علاقة وكلٌّ في منزله»، السبب في ظهورها هو اتساع طيف العلاقات. معظم هؤلاء شبان ويمتلكون منازلَ، ولا يريدون التخلي عن استقلاليتهم. يقول الخبراء: إنه خاصة في بريطانية العظمى، حيث يُعدّ المنزل عش المرء وقلعته، يكره الناس التخلي عن منازلهم، أو شققهم، حتى من أجل الحب.

عند الطرف الآخر من دورة الحياة، يكون أشخاص طرفاً في «علاقة وكلٌّ في منزله» أكبر سناً لا يريدون تعقيد قضايا الإرث بإدخال قانون الزواج السائد، ناهيك عن أي إجراء آخر خاص، في خططهم لترك ملكياتهم إلى أولادهم.

بالرغم من ذلك، هناك أشخاص يرتبطون بهذه العلاقة في منتصف العمر – ولديهم أولاد من علاقة سابقة، أو هم آباء كبار السن، والذين يعيشون أصلاً في منازلهم. إدخال حبيب أو زوج إلى العائلة يمكن أن يعقد الأمور، وربما يكون سهلاً على كلا الطرفين الحصول على وقت خاص 7/24 دون الاجتماع 7/24.

أخيراً، يختار أطراف «علاقة وكلٌّ في منزله» مساكن منفصلة؛ لأن بيت أحدهما، بصراحة، يكون مزدحماً. بالتأكيد، إنها رفيقة روحك، لكن إذا انتقلت للعيش معك فستجعلك تغسل الأطباق أكثر من مرة في الأسبوع. الحمد لله، إنه الشخص المنتظر، لكن إذا أصبح هذا منزله أيضاً، فسيرغب في أن تتوقفي عن حرق البخور، أو سيتوقع أن تقومي بكل الطهي. يريد العديد من الأشخاص في علاقتهم طويلة الأمد الثانية تفادي

أخطاء أو آلام العلاقة الأولى السيئة. «علاقة وكلٌّ في منزله» طريقة لطيفة وواضحة للقول: أحبك -من هنا، في قلعتي- حيث إنا الملك.

والكثير من «ملوك» العامة كانوا قد اشتهروا بأنهم عاشوا وحدهم. بقيت كاثرين هيبورن وسبنسر تريسي في منزلين منفصلين طوال مدة علاقتهما التي امتدت عقوداً (بالرغم من أن ذلك كان لأن تريسي متزوج من امرأة أخرى). عاش ودي آلان وميا فارو في شقتين منفصلتين في نيويورك. (بالرغم من أن ذلك، مجدداً، لم يكن زواجاً مثالياً؛ ولأن آلان أعلن لاحقاً حبه لابنة زوج فارو المتبناة).

تبدو النزعة مروّعة لثنائي سعيد يعيشان معاً تحت سقف واحد، ولا يمكن أن يتخيلا التخلي عن المشاكسة اللطيفة مع شريك الحياة ليلة بعد أخرى. لكن الحقيقة هي أنه حتى بين المرتبطين بالزواج الذين يعيشون تحت السقف نفسه، يصبح أكثر شيوعاً أن يناما في غرفتين منفصلتين. في الولايات المتحدة، وفقاً لدراسة أجراها الاتحاد القومي لبناة المنازل، كان بناة ومهندسون معماريون قد توقعوا أنه، بحلول سنة 2015، أكثر من 60 % من المنازل العادية ستضم غرفتي نوم منفصلتين. قال بعض البناة الذين تم استطلاع آرائهم: إن أكثر من ربع مشروعاتهم الجديدة تضم ذلك فعلاً.

لكن مهما يكن سبب العيش منفصلين، يزداد عدد الأشخاص الطرف في «علاقة وكلٌّ في منزله»، وينبغي بالكثير من المجموعات أن تنتبه لذلك. أولاً، أولئك الذين يودّون التعرف على أشخاص آخرين. كان معتاداً أن خاتم الزواج يشير إلى «الارتباط»؛ لكن حالما يصبح العيش تحت سقف مشترك دون زواج شائعاً للغاية، ينبغي أن تنظر إلى ما وراء إصبع الخاتم لمعرفة أوضاع معيشة الناس. إذا كان لديهم «زملاء سكن»، ربما لا يكونون مرتبطين عاطفياً على نحو دائم. لكن لا يمكن تخمين شيء الآن. ربما تكون المرأة التي تتحدث إليها لا تضع خاتماً وتعيش في شقة صغيرة، لكنك لا تعرف أنها متزوجة منذ عشر سنوات.

ثانياً: ينبغي أن ينتبه الآباء إلى هذه النزعة. ربما تظن أن ولدك مهمل ولا يحب الالتزام، بينما يكون في الحقيقة أكثر حباً للارتباط من معظم أصدقائك. أو ربما تظن

أنك محظوظ؛ لأنه ليس جدّياً للغاية بشأن تلك الحبيبة التي لا تحبها، بينما هما في الحقيقة لم يواعدا أحداً آخر طوال سنوات ولا يخططان لذلك البتة.

من وجهة نظر دينية أو ثقافية، ازدياد عدد الأشخاص الطرف في «علاقة وكلٌّ في منزله» يمكن أن يدل على فصل جديد، وربما مليء بالمتاعب، في التوقعات بشأن العلاقات. إذا لم يكن «الحب» و«الزواج بامرأة واحدة» يعني الاشتراك اليوم في تلبية احتياجات، ومتعة، واهتمامات الشخص الآخر، هل يمكن للالتزام أن يكون قوياً حقاً؟ أليست التضحية أو التكيّف مطلوباً للحب؟ هذا، بالطبع، ما كان معارضو «العيش معاً» يخشونه في السبعينيات والثمانينات. إذا عاش الناس معاً دون التزام، فكم سيمضي من وقت قبل أن يقيموا علاقة حتى دون أن يعيشوا معاً؟ (آه صحيح، سيحدث ذلك فوراً).

الواضح أن الأشخاص الذين يكونون طرفاً في «علاقة وكلٌّ في منزله» لا يأبهون كثيراً للعلاقات مثل المرتبطين بالزواج. في دراسة كندية تم إجراؤها سنة 2003، قال 53 % فقط من الرجال و62 % من النساء المرتبطين بـ«علاقة وكلٌّ في منزله» إن: «العلاقات الدائمة» مهمة للسعادة في الحياة، مقارنة بـ76 % من الرجال المتزوجين و81 % من النساء المتزوجات اللواتي قُلْنَ الشيء نفسه.

ويتساءل المرء عن تأثير ذلك في الأولاد. إذا كانت هناك ذرية، فهل سينتقلون ذهاباً وإياباً بين المنزلين مثل أولاد المطلقين؟ أم أن أغلبية الذين يدخلون طرفاً في «علاقة وكلٌّ في منزله» لا ينجبون أطفالاً، على أي حال؟

من وجهة نظر تجارية، تقدم نزعة «علاقة وكلٌّ في منزله» فرصاً جديدة. مثل «زواج المسيار»، يحتاج هؤلاء إلى أدوات شخصية مختلفة – ملابس، وصابون وعطور، وأقراص مدمجة في مكانين، وليس في مكان واحد فقط. يحتاجون إلى مجموعتين من القدور والأوعية. ساحات لسيارات الضيوف في أبنيتهم وفي شوارعهم المحلية. طرق لإغلاق الأجهزة، واستلام الوثائق والبريد، وإخراج القط عندما لا يذهبون إلى المنزل عدة أيام. يستحق هؤلاء الناس الاهتمام بهم – بالمحصلة، إذا كانوا يستطيعون الاحتفاظ بشقتين، فربما يكون لديهم دخل آخر لا يعلم به أحد.

ربما الأكثر أهمية، تمثّل نزعة «علاقة وكلٌّ في منزله» حرفياً تضاعف أسهم الإسكان المطلوبة. يتراجع عدد السكان الأوروبيين، لكن حقيقة أن نصف هؤلاء ربما يحتاجون إلى منزل قد يكون تطوراً مهماً في سوق الإسكان الأوروبي.

أخيراً، من وجهة نظر علم الاجتماع الأوسع، نخطئ الحكم إذا كنا نظن أنهم يتوقون إلى رفقة، ونخطئ الحكم على مالكي المنازل الأعزاب إذا كنا نظن أنهم جميعاً يبيعون بيوتهم حالما يقعون في الحب. يمكن أن تنقلب كل التوقعات التي تعتمد على دورة الحياة في سوق العقارات رأساً على عقب. ولا نفهم تماماً «الأسر» إذا كنا نظن أنها كلها صغيرة ومستقلة - ربما تكون هناك أسر تتألف من شخص واحد أكثر من ذي قبل في الدول الغربية، لكنّ بالرغم من ذلك ربما يكون الناس يعيشون «معاً» أكثر من ذي قبل.

ربما كان الأشخاص الذين يصبحون طرفاً في «علاقة وكلٌّ في منزله» قد اكتشفوا شيئاً كبيراً. يقول الباحثون: إنه في حين ينتاب أطراف «علاقة وكلٌّ في منزله» القلق من التخلي عن الثقة، إلا أنهم أيضاً أشخاص حريصون ومستقلون، وواثقون تماماً بأنفسهم لعيش نمط حياة جديد. ربما يشعرون أيضاً، أكثر من المتزوجين، أو حتى الذين يعيشون تحت سقف مشترك، مثل المراهقين قبل ذهابهم إلى موعد ليلة السبت - البعد يجعل القلب يهيم حباً. ربما تستمر الشعلة مدة أطول مع الالتزام، لكن البخور والغسيل الوسخ لا يبقى على حاله المدة نفسها.

فتية أمهاتهم (إيطالية)

رجال لا يغادرون المنزل

طعام مجاني، وغرفة وخدمة مجانية، ولا منع للتجوال، وسيارة عندما يحتاج إليها المرء. يعرف الكثير من الشبان الصفقة الجيدة عندما يرونها. وبالرغم من أن الأولاد الأمريكيين لا يطيقون صبراً عادة لمغادرة المنزل، إلا أن أولاداً راشدين في بعض الدول الأقل رخاءً كانوا قد قرروا: «لماذا العجلة؟». الأمهات يطهين طعاماً شهياً بالمحصلة.

وهكذا بدلاً من النموذج التقليدي لأولاد يكبرون، ويقومون بإنشاء عائلة، ويعودون إلى منزل الأم والأب لتناول العشاء يوم الأحد، هناك نموذج جديد: لا تتزوج، حافظ على حياة العزوبية واذهب إلى النوادي الليلية بضع مرات في الأسبوع، لا تتخلَّ البتة عن غرفتك، وابقَ في المنزل؛ حتى يتم طردك منه - أو ترثه.

وليس هناك مكان يصح عليه هذا أكثر من منزل تقدم فيه الأم على العشاء اللازانيا، وغنوتشي، وأوسو بوكو. في إيطالية، لا تزال أغلبية ساحقة تبلغ 82 % من الرجال الذين تتراوح أعمارهم بين 18-30 يعيشون في منزل ذويهم. لا عجب أن الشبان يخرجون دائماً إلى الساحات العامة في إيطالية - ليس لديهم مكان آخر يذهبون إليه.

في هوليوود، يلمح راي ريموند إلى تأثير الأم الإيطالية في البرنامج ذائع الصيت، الجميع يحب ريموند Everybody Loves Raymond، حيث يعيش أبوان أمريكيان من أصل إيطالي هما ماري وفرانك ليس مع، وإنما بجانب، راي وعائلته، ويبدو نفوذ وآراء والدة ماري كبيراً في حياة راي. لكن اذهب إلى إيطاليا نفسها، وستجد ليس راي فقط، وإنما روبرت أيضاً يعيش مع ماري وفرانك. لا ديبرا، ولا آمي، ولا أطفال. ربما لا نشاط رياضياً أو عمل شرطة. فقط الأم، والأب، وفتية يقتربون من منتصف العمر.

الإيطاليون الذين يبقون في المنزل، أو فتية أمهاتهم، هم المثال الأكثر تطرفاً، لكن النزعة أثارت الاهتمام وتمت تسميتها في دول أخرى أيضاً. إنهم «ذكر السلمون» في إنكلترة، وترمز إلى «أولاد ينفقون من مدَّخرات تقاعد آبائهم». إنهم «طيور العش» في ألمانية. في اليابان، إنهم «عُزاب طفيليون»، أو «معتاشون». في الولايات المتحدة، هم «عرجون» (قوس يعود إلى صاحبه)، «صبيان بيتر» (يعيشون دون أن يكبروا)، أو «أطفال راشدون». لكن معدل «أولاد أمهاتهم» في إيطالية هو الأعلى بنسبة 4 من كل 5.

نسبة الذكور، تتراوح أعمارهم بين 18-30، الذين يعيشون مع ذويهم (1996)

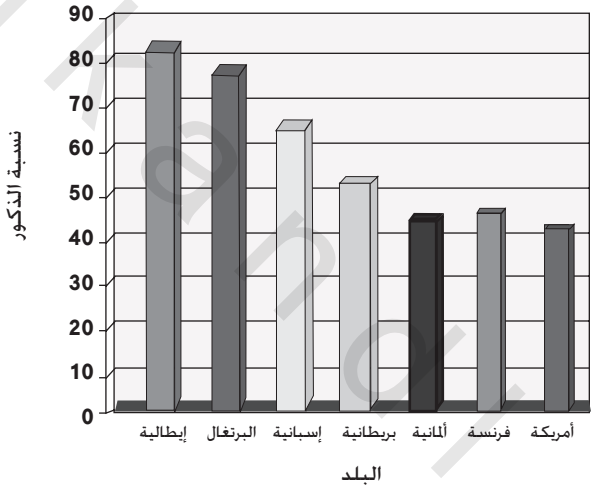

المصدر: ماركز ماناكوردا وإنريكو موريتي. لماذا يعيش معظم الشباب الإيطاليين مع ذويهم؟ التحولات بين الأجيال وبنية الأسرة. مركز أبحاث السياسة الاقتصادية. 2005.

ماذا حدث؟

يقول معظم المراقبين: إن أولاداً أمهاتهم تأثرنَ بمعدل البطالة المرتفع في إيطالية، وتكاليف المدارس الكبيرة، وانخفاض وتراجع معدل الخصوبة. لا وظائف، لا أطفال، شقق مكلفة – لماذا مغادرة المنزل؟ زعم باحثون آخرون أن الأم والأب يريدان في الواقع رفقة، وإشرافاً، ويطلبان من أولادهما البقاء في المنزل. يعيش الأولاد حتى سن متأخرة تحت سقف واحد مع ذويهم بسبب بطالة الشباب الكبيرة، وليس العكس. لكن ربما يكون

أكثر شيء مثير للاهتمام هو فكرة أن المحنة الاقتصادية قد تزيد من ترابط الأواصر العائلية، فيما قد يؤدي النجاح الاقتصادي إلى تمزيق بنية العائلة.

ربما كانت إحدى أهم أفكار هيلاري كلينتون في أثناء تمثيلها لنيويورك هو أنه «لا ينبغي لأي ولد مغادرة بلدته للحصول على عمل جيد». يؤدي الجذب الاقتصادي الكبير للمدن والضواحي في أمريكة إلى مغادرة الأولاد الأفضل تعليماً بلداتهم للعثور على عمل -كان ذلك هو النموذج التقليدي منذ فجر الثورة الصناعية. كانت النتيجة انفراط عقد العائلة، وتبعثر الناس في أرجاء البلد أو حتى في أنحاء العالم.

لكن في إيطالية، العكس يحدث. تستنزف المنافسة الشديدة من الصين على المنتجات الأساسية وظائف البلاد، وتروّج القوى الاجتماعية الاقتصادية لحياة بلا هموم - لا أطفال، لا زواج، لا مسؤوليات. لكن الجانب الآخر أن صلات العائلة أضحت أقوى - وبقيت العائلة الصغيرة مركز الحياة. من يمكنه أن يحدد النظام الذي يحقق أكبر سعادة؟

لكن هناك نتائج لهذا التغيير. أصبح الشباب الإيطاليون اليوم وفقاً للباحثين أقل استقلالية ومبادرة وعملاً وخبرة بالسفر ومصدر متاعب أكبر لعائلاتهم، مما كانوا عليه قبل أجيال. ينجب هؤلاء الشباب أطفالاً بمعدلات أقل كثيراً من ذي قبل (1.2 لكل امرأة سنة 2006 مقابل 2.3 سنة 1950). صحيح، ربما تشكل رعاية الكبار عبئاً أقل في السنوات القادمة، لكن رعاية الأطفال ستختفي نسبياً. وربما يصبح الحصول على وظيفة معلم مدرسة مستحيلاً؛ لأنه ستكون هناك الكثير من المدارس لعدد محدود من الأطفال.

مع اتساع ظاهرة أولاد أمهاتهم على نطاق عالمي، هناك فرص تجارية ينبغي استغلالها. ربما يحب الآباء الإيطاليون أن يسكن أولادهم معهم على نحو دائم، لكنَّ الباحثين يقولون: إن الآباء الأمريكيين، والبريطانيين، والألمان لا يحبون ذلك. ربما تصبح المستشارات المفترضات في العمل الكوميدي الأمريكي سنة 2006 الفشل في الانطلاق Failure to Launch -اللواتي يظهرن بصفة حبيبات لدفع الرجال على الانطلاق- حقيقيات. ربما ترغب برامج الشباب والتعليم العالي بالإعلان مع المنظمة الأمريكية للمتقاعدين ونظيراتها الأوروبيات؛ لأن الأهداف (الشباب) سيرون القرّاء (ذويهم) كل أمسية على العشاء.

فيما يخص أولاد أمهاتهم أنفسهم -وذكور السلمون وطيور العش ومعتاشون - يُقال: إنهم سعداء بهذا الترتيب. لم يعد الآباء والأولاد يدخلون في معارك ثقافية كما كانت عليه الحال في الستينيات؛ ويجلس الجميع الآن لمشاهدة ريموند معاً. يتم الاعتناء جيداً بتحضير العشاء وغسيل الثياب. الشيء الوحيد الذي يبدو أنهم يشعرون بالحاجة إليه هو القليل من الخصوصية لإقامة علاقات اجتماعية، وبالطبع، الجنس. هل انتهز المكافئ الأوروبي لفندق 6 الفرصة السانحة لتأجير غرف بالساعة؟

لا يزال معظم الأمريكيين يعدون أن العيش في منزل مع راشد علامة على درجة من الفشل، خاصة في وسائل الإعلام. من يعد ذلك؟ جورج كوستانزا في سينفيلد Seinfeld. كليف كلافن في تشيرز Cheers. حباً بالله، نورمان بيتس في سايكو Psycho. هؤلاء ليسوا رجالاً، لاستعمال تعبيرات فرويد، بشخصيات متميزة.

من ناحية أخرى، نادراً ما عاش فرانكلين ديلانو روزفلت، أحد أكثر الرؤساء وقاراً، في منزل لم تكن تمتلكه أو تقيم فيه والدته سارا.

ربما يكون الإيطاليون روّاداً في نمط عيش ما بعد التصنيع هذا - رد فعل مضاد على العالم الحديث المتسارع الخطوات والمثقل بالمسؤوليات. ربما سيصل هذا الجيل إلى منتصف العمر مع إحساس بالاسترخاء والمتعة ستكون موضع حسد الشرق والغرب. أو ربما ستدفع هذه النزعة نفسها المجتمع الإيطالي نحو كساد أو ركود عميق في أثناء بضع سنوات، في حين تستولي الصين على وظائف التصنيع الإيطالية، والفشل في تجهيز جيل يجد أن عليه العناية بنفسه، لكن دون بعض المهارات التي كان ينبغي أن يحصلوا عليها من أمهاتهم، بما في ذلك كيف يغادرون العش ومتى.

نجوم أوروبة

كان معظم الناس قد سمعوا عن افتقار الأوروبيين للاهتمام بإنجاب أطفال. فيما الأمريكيون متيمون بإنجاب أطفال، كان الأوروبيون قد قرروا على نطاق واسع أن العائلة مكلفة ومزعجة، ونتيجة لذلك يرون أن هناك تدهوراً أساسياً في بنية العائلة التقليدية.

لا يستطيع الأمريكيون تصديق ذلك - تبدو سياسات إجازة الأمومة المدفوعة وإعانات رعاية الطفل في أوروبة سخية للغاية مقارنة بما لدينا. لكن الحقيقة هي أن القليل من الأوروبيين يستفيدون منها. في حين ينجب الأمريكيون بمعدل التجديد تحديداً 2.1- طفل لكل امرأة في سن الإنجاب- إلا أن الأوروبيين يضعون أنفسهم على سكة التراجع في عدد السكان. معدل خصوبة القارة الذي يبلغ 1.5 طفل لكل امرأة غير كافٍ لديمومة ذاتية. في سنة 1990، لم يكن معدل خصوبة أي بلد في أوروبة أقل من 1.3— هناك أربعة عشر بلداً الآن. معدل خصوبة ست دول أوروبية أخرى أقل من 1.4. أنجبت ألمانية وحدها نصف عدد الأطفال سنة 2005 مقارنة بما أنجبته قبل أربعين سنة - يدل هذا على أنه بحلول نهاية هذا القرن، قد يصل عدد الشعب الألماني إلى أقل من ثلث ما هم عليه اليوم.

أسباب تراجع خصوبة الأوروبيين بيولوجية وثقافية وسياسية واقتصادية. أولاً، كما هو الحال في الولايات المتحدة، تبدأ النساء في أوروبة إنشاء العائلة في وقت متأخر -إذا قمن بإنشائها أصلاً- ويزيد ذلك من خطورة تراجع الخصوبة ويترك وقتاً أقل لظهور عائلات كبيرة. بين سنتي 1972 و2004 في بريطانية، تراجع عدد حالات الزواج بنسبة 36 %، وارتفع معدل سن الزواج من 25 إلى 31 للرجال، ومن 23 إلى 29 للنساء.

من وجهة نظر ثقافية، كانت زيادة التركيز على أهمية الفرد في كل العالم الغربي قد دفعت المزيد من الأوروبيين إلى الامتناع عن إنجاب أطفال؛ لأن وجود أولاد لطيفين يمكن

أن يشكل عائقاً كبيراً لعمل المرء وسفره وأوقات فراغه. وتنتاب الكثير من الدول التي تنخفض فيها الخصوبة مخاوف كبيرة بشأن البيئة وزيادة عدد السكان، ما يجعل إنجاب أطفال يبدو عملاً أنانياً ومدمراً. في ألمانية، كانت هناك تقارير تشير إلى أن 39 % من النساء المثقفات ليس لديهن أطفال.

معدل الخصوبة الكلي، دول منتقاة، 2000-2005

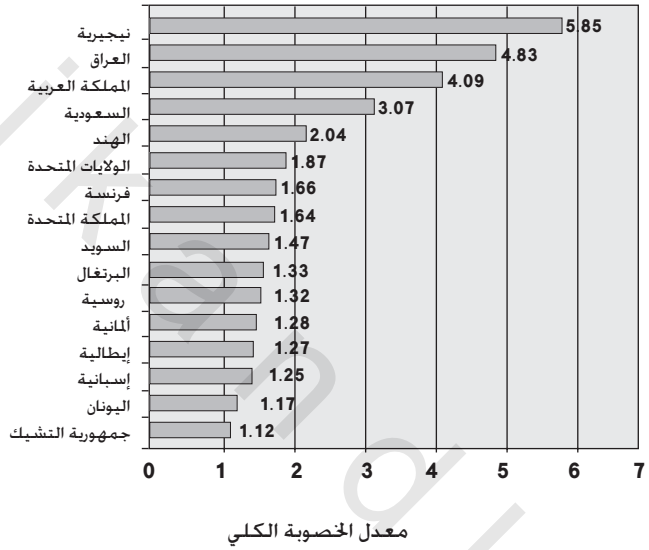

المصدر: قسم السكان في الأمم المتحدة ومنظمة الصحة العالمية، 2005.

من ناحية سياسية، قيل: إنه كلما كان المرء أكثر تحرراً -عدم الالتزام بالطقوس الدينية- كان عدد الأولاد الذين ينجبهم أقل. لا يجادل أحد في أن أوروبة، في أثناء الثلاثين سنة الماضية، كانت قد اتجهت يساراً وأضحت أكثر علمانية. قد تكون علاقة الحمل-اليسار واضحة في الولايات المتحدة أيضاً. وفقاً لتحليل أجرته يو-إس-إيه توداي USA Today، كانت معدلات الخصوبة في الولايات التي فاز بها جورج دبليو. بوش سنة 2004 أعلى بنسبة 11 % من معدلاتها في الولايات التي فاز بها جون كيري. في يوتاه، حيث إنَّ أكثر من ثلثي السكان مورمن، معدل الخصوبة 92 ولادة لكل 1000 امرأة - الأعلى في البلاد. في فيرمونت، أول ولاية تسمح بزواج المثليين، المعدل هو 51 ولادة لكل 1000 امرأة - الأدنى في البلاد.

لكن بالرغم من أن علم الأحياء والثقافة والسياسة تؤدي دون شك دوراً ما في تراجع إنجاب الأطفال في القارة العجوز، إلا أن السبب الرئيس لانخفاض معدل الخصوبة في أوروبة هو الاقتصاد. وفقاً لدراسة قام بها معهد أبحاث السياسة العامة في المملكة المتحدة، يرغب الشبان البريطانيون الذين تتراوح أعمارهم بين 21-23 في إنجاب أطفال أكثر من معدل التجديد ويخططون لذلك. لكن عندما يبلغون من العمر 40 سنة، سيكون عدد الأطفال الذين ينجبونهم كل سنة أقل بـ90.000 مما كانوا قد خططوا له - ويبدو السبب في «تراجع الخصوبة» مرتبطاً بالنساء. ربما تكون سياسات الأمومة والعناية بالطفل في أوروبة سخية بوجه عام، لكن في بريطانية، تعود 28 % على الأقل من النساء إلى العمل بوظائف أقل دخلاً مما كُنَّ يحصلن عليه قبل ولادتهن. بين أمينات السر، النسبة 36 %، وبين العاملات اللواتي يتمتعن بمهارات عالية، تصل إلى 50 %. بالرغم من أن الآثار المترتبة على الإنجاب في بعض الدول أقل مما هي عليه في الولايات المتحدة، إلا أنه من الشائع في القارة أن رعاية الطفل المكلفة وازدياد تكلفة الرهن العقاري قد جعلتا تكلفة إنجاب أطفال عالية جداً.

كان تأثير تراجع معدلات الولادة في أوروبة موضوع دراسات عديدة. توقع علماء السكان والاقتصاد أن مشكلة الأمن الاجتماعي في أوروبة -تحدي عدم إنجاب ما يكفي من عاملين لدعم متقاعدي القارة الطاعنين في السن- ستكون أقسى مما هي عليه في أمريكة. كانوا قد حذّروا أنه في السنوات الخمسين القادمة، ستكون نسبة المستفيدين إلى العاملين في أوروبة غير متكافئة البتة وأن الضمان الاجتماعي في بعض الدول قد يتداعى نتيجة تلك المشكلة. كانوا قد قالوا: إن ازدياد معدلات الهجرة الآسيوية والإفريقيَّة -التي ستشكل بنفسها ضغطاً اجتماعياً- لن تعوض تراجع معدلات الولادة الأوروبية.

تتضمن تحديات أخرى لمعدل الولادة المنخفض هذا احتمال انكماش السوق في أوروبة، وانخفاض قوتها العسكرية؛ نظراً لتخصيص جزء أكبر من مواردها لدعم كبار السن فيها، وتراجع تأثيرها النسبي على الولايات المتحدة، خاصة أن أمريكة ستوثّق علاقاتها مع أوطان مهاجريها الجدد - أمريكة اللاتينية، وجنوب وشرق آسية.

لوحظ أننا على وشك الدخول في فجوة أجيال تتسع باستمرار. حالياً، منتصف العمر في أمريكة هو 35.5، بينما في أوروبة 37.7. بحلول سنة 2050، سيكون منتصف العمر في أمريكة 36.2 – وفي أوروبة، سيكون 52.7. هذا يعني أن أوروبة وأمريكة لن يفصلهما المحيط الأطلسي فقط، وإنما قد تكون لديهما نظرتان مختلفتان تماماً للعالم. سيتم تشكيل أوروبة بأحداث تقع الآن، في حين سيتم تشكيل أمريكة بأحداث تقع بعد عقد من الآن.

لكن ضمن عملية لي الذراع المشروعة تلك، إليك الجزء من قصة تراجع الخصوبة الذي أرى ألا أحد ينتبه له. نعم، معدلات الولادة تتراجع، ويزداد عدد الراشدين الذين لا ينجبون أطفالاً. لكن التراجع في العدد الكلي للأطفال الذي تنجبه أوروبة يعني أيضاً ازدياداً في عدد العائلات التي تنجب طفلاً واحداً عبر القارة. ربما إن وجود أشقاء يتلاشى، لكن الابن الوحيد للعائلة في تزايد.

في المملكة المتحدة، أنجبت 23 % من النساء طفلاً واحداً فقط، ارتفاعاً من 10 % قبل عقدين. في لوكسمبورغ، بين سنتي 1970 و1991، كانت هناك زيادة بنسبة 16 % في عدد العائلات التي أنجبت طفلاً واحداً فقط. في فنلندة، ارتفعت نسبة «الابن الوحيد» 50 % بين سنتي 1950 و1990. في البرتغال، نمت النسبة 134 % بين سنتي 1950 و1991. وفي كل تلك الدول، وبالرغم من تراجع معدلات الولادة، إلا أن نسبة «الابن الوحيد» حافظت على الارتفاع. العائلات التي تنجب طفلاً واحداً هي الأسرع نمواً في العالم الغربي.

لهذا تأثيرات مهمة؛ نظراً لأن «الابن الواحد» في ازدياد، توقع سوقاً جديدة لسلع الطفل الفاخرة. ومن يستطيع حرمانهم من حيوان أليف أو اثنين؟ ترقّب أن يعاني تجار تجزئة سلع الأطفال العامة، وأن تزدهر المتاجر المتخصصة. (ربما يستطيع تجار السلع العامة تعويض ذلك بالتحول نحو المهاجرين الأكثر إنجاباً).

من وجهة نظر ديمغرافية بحتة، ربما يعني عدد أقل من المراهقين أيضاً انخفاض معدل الجريمة، وأعمال الشغب، والمظاهرات في الجامعات. سيكون هناك أيضاً بحث مكثّف لملء المدارس – قد ينجم عن ذلك جلب المزيد من التلاميذ الأجانب لملء المستوى

الأعلى من النظام التعليمي. سيبحث المعلّمون، أيضاً، عن وظائف جديدة؛ لأن الطلب عليهم سيتراجع.

لكن يكمن أيضاً ضمن هذه النزعة المجهرية بصيص أمل في انبعاث أوروبي جديد. جيل من الأبناء الوحيدين يعني مستوى مرتفعاً من المواطنين الواثقين بأنفسهم، الذين يسعون لتحقيق إنجاز مهم، ويظهرون واسعي الخيال ومستعدين لمعالجة مشكلات أوروبة مهما كان حجمها.

وفقاً لباحثين في معدلات الولادة، يكون الأبناء البكر أكثر تحفزاً، يتحملون مسؤولية أكبر، يتقنون ما يقومون به، ويميلون لأن يكونوا قادة. في الولايات المتحدة، تزيد أعدادهم في هارفرد وييل عن نسبتهم ضمن عدد السكان، وكان كل رائد فضاء يغادر الأرض الابن البكر لعائلته. يقال: إن قائمة أبناء بكر شهيرين تتضمن كلينت إيستوود، وج. ك. رولينغ، وينستون تشرشل، وكل الممثلين الذين أدوا دور جيمس بوند.

الأولاد المتوسطون ماهرون في المساومة، يتكيفون مع واقعهم، وثائرون – كان جون ف. كينيدي ولداً متوسطاً، وكذلك كانت الأميرة ديانا. أصغرُ الأولاد (آخر العنقود) ودودون وماكرون وعديمو الصبر ولا يتحملون مسؤولية ومبدعون؛ ومنهم كاميرون دياز، جيم كاري، وإيدي موري في.

لكن يقال: إن «أبناء وحيدين»، مثل أبناء بكر، واثقون من أنفسهم وطموحون ويتحملون المسؤولية ويتقنون ما يقومون به. نتيجة حصولهم على اهتمام والديهم التام، يكونون مقرّبين تماماً من أبويهم، ويكرهون القيام بتغيير جذري. يتوقعون الكثير من أنفسهم ومن الآخرين. لا يتقبلون النقد بسهولة؛ ونظراً لعدم اختلاطهم كثيراً بأطفال آخرين، يمكن أن يصبحوا عنيدين. لكنهم نجوم: كانت قائمة أبناء وحيدين (في بعض الحالات مع إخوة غير أشقاء بعيدين) تتضمن تايغر وودز وليوناردو دا فنشي وفرانكلين ديلانو روزفلت. وفرانك سيناترا، الذي قام، مثل أي طفل وحيد حقيقي، بالأمر على طريقته.

إذاً، صحيح أن أوروبا تواجه تحدّيات خطيرة، وقد انخفض عدد الأشخاص الذين يتصدون لها. لكن بين أولئك القادمين، ستكون نسبة كبيرة منهم –بفضل حالة الوحيد–

مستعدة لتولي زمام الأمور بطرق مسؤولة ومبتكرة وناجحة، مخلصين لجيل آبائهم، سيعالجون مشكلة الضمان الاجتماعي بحيوية. بعد قضائهم عدة سنوات مع ألعابهم في حين كان الراشدون يتكلمون بين أنفسهم، ربما يخرجون بحلول مبتكرة لم يكن أحد قد حلم بها من قبل. تبدو مشكلات قارتهم كبيرة، لكنهم سيكونون جيلاً من المبدعين المستعدين لتولي القيادة. طالما أنها تتقن اللعب جيداً مع الآخرين، في الداخل والخارج، قد تستطيع أوروبة رؤية أعظم، وأصغر أجيالها من أبنائها الوحيدين: نجوم أوروبة.

obeikandl.com

رجال الأعمال الفيتناميون

في أمريكة، لا يزال معظم الناس يفكرون في فيتنام على أنها المكان الذي تورطنا فيه بحرب لا يمكن الانتصار فيها، وذلك لنقصٍ في الفهم الثقافي. الخمس عشرة سنة؛ حياة 58.000 جندي أمريكي؛ انسحاب مذلّ في نيسان 1975 من دار السفارة الأمريكية في مدينة سيغون/هو شي منه. إنه الفشل الذي قورنت به كل الحملات العسكرية الأمريكية منذ ذلك الوقت. كانت الحرب نفسها ترتكز على نظرية الدومينو- فكرة أنه إذا أصبحت فيتنام شيوعية، فستحذو حذوها دولة إثر أخرى في آسية، وسيميل ميزان القوة لصالح الشيوعية. ياه، لقد كانت تلك النظرية خاطئة.

لكن الاعتقاد-بأن الشيوعية على الطريقة الفيتنامية ستكون تكراراً لكوريا الشمالية- كان راسخاً جداً، حتى إن ما حدث فعلاً في فيتنام لم يكن لمعظم الأمريكيين أن يتخيلوه. بالرغم من أن عدونا السابق الحكومة الشيوعية لا تزال تمسك بزمام السلطة هناك، إلا أن فيتنام كانت قد أصبحت واحدة من أنشط البقاع التجارية على الأرض. حيث كانت أمريكة ترسل سابقاً الجنود وفرق الإنقاذ، نرسل نحن الآن المال. نشتري كل شيء من الفلفل الأسود إلى القهوة والأرز والطعام البحري. في سنة 2006، أنفق الأمريكيون على السلع من فيتنام أكثر بعشرة أضعاف مما أنفقه الفيتناميون على شراء السلع منا.

في السنوات الخمس عشرة الأخيرة، كانت فيتنام قد بذلت جهوداً أكبر من أي دولة أخرى على الأرض لمحاربة الفقر وبناء طبقتها الوسطى. في كل أنحاء البلاد، انخفض عدد الفقراء المعوزين -أولئك الذين يجنون أقل من 1 دولار يومياً- من 51 إلى 8 %. لم تنجح سواء الصين أو الهند في تحقيق مثل ذلك المعدل.

في أكبر مدينتين في فيتنام، انخفض عدد الفقراء (أولئك الذين يجنون أقل من 250 دولاراً في الشهر) من 60 % سنة 1999 إلى 25 % سنة 2006. وفي الوقت نفسه، تضاعف

تقريباً عدد أفراد الطبقة الوسطى (يجنون 251 دولاراً- 500 دولارٍ شهرياً) - إلى أكثر من نصف عدد سكان المدن في فيتنام. و«الطبقة الوسطى» في فيتنام تعني ما تعنيه في مكان آخر هذه الأيام: يمتلك نصف هؤلاء الناس تقريباً هواتف خليوية وحواسيب، ولدى زهاء 20 % منهم بريد إلكتروني في منازلهم. كانت مشتريات الفيتناميين من مستحضرات التجميل ومنتجات الأطفال قد شهدت ارتفاعاً كبيراً. كانت نفقات الترفيه الشخصي قد تضاعفت منذ سنة 2003 وحدها. منذ سنة 2001، كانت نسبة الفيتناميين الذين يسكنون في المدن ويمتلكون حسابات مصرفية قد تضاعفت ثلاث مرات تقريباً، إلى أكثر من ثلث عدد السكان.

يعمل العديد من رجال الأعمال الفيتناميين في مجال الغذاء، ربما بسبب صناعة إنتاج الطعام الكبيرة في ذلك البلد. من الناجح جداً د. لي كوي ترنغ - الرئيس التنفيذي لسلسلة مطاعم «فو 24»، التي تنتشر في خمسين موقعاً في فيتنام، إندونيسيا، والفلبين - إلى المشاغل العائلية الصغيرة لإنتاج لصاقات يدوية في ساحات المنازل الأمامية للإعلان عن فو (معكرونة) مصنوعة في المنازل أو تجديد محركات السكوتر (درّاجات صغيرة) - ينتقل الفيتناميون من كل مستوى إلى العمل بالتجارة. رجال وسيدات أعمال آخرون روّاد في قطاع التقانة العالية، وأضحت فيتنام تدعى «الهند الثانية» في صادرات البرمجيات، وتظهر بوصفها قوة في قطاع الاتصالات.

ويبدو أن كل هذا النمو مرشح للاستمرار. يلتحق زهاء ثلاثة أرباع الأولاد الفيتناميين بالمدرسة الثانوية -ارتفاعاً من نحو الثلث سنة 1990 - وهذا معدل نمو أعلى مما هو عليه في الصين أو الهند. وفيات الأطفال تنخفض. مدة الحياة ترتفع. الأموال الأجنبية تتدفق على البلد. في سنة 2005، نما الاقتصاد بنسبة جديرة بالملاحظة بلغت 8.4 %، مما يجعله واحداً من أسرع الاقتصاديات نمواً في العالم.

تنعكس كل تلك الأرقام السعيدة على -أو يحركها- تفاؤل الشعب الفيتنامي الاستثنائي. وفقاً لدراسات دولية أجراها معهد غالوب Gallup الدولي بعنوان «صوت الشعب»، فيتنام عادة البلد الأكثر تفاؤلاً على وجه الأرض - يقول أكثر من 9 من كل 10 مواطنين: إن هذه السنة ستكون أفضل من سابقتها. في الواقع، بذلك المعيار، تتفوق فيتنام على ثاني أكثر بلد

تفاؤلاً -هونغ كونغ- بنحو 20 نقطة. (تتساءل عن البلد الأكثر تشاؤماً؟ اليونان، وتتفوق في ذلك حتى على العراق).

من أين جاءت هذه الحماسة للرأسمالية، في أرض حاربت القوى العظمى الرأسمالية لتأسيس الشيوعية، وفازت؟ بعد أن غادر الأمريكيون فيتنام، حاول الحزب تطبيق شيوعية صرفة، لكن تراجع حالة المحاصيل وسوء إدارة الاقتصاد أوصلتا البلاد إلى حافة المجاعة. وهكذا ظهر «دوي موي»، أو سلسلة من إصلاحات السوق المخصصة لتحفيز الاقتصاد الفيتنامي دون التضحية بقوة الحزب السياسية. شجعت الولايات المتحدة هذا الاتجاه، وأنهى الرئيس كلينتون في منتصف التسعينيات الحظر التجاري الذي كانت أمريكة تفرضه على ذلك البلد وأقام معه علاقات دبلوماسية. بحلول سنة 2002، كانت فيتنام قد عدّلت دستورها لضمان معاملة متساوية لشركات القطاعين العام والخاص، وأزالت عدّة عقبات بيروقراطية على تسجيل الشركات. بدأ باقي العالم يرحب بفيتنام، دبلوماسياً واقتصادياً. في سنة 2001، وقعت الولايات المتحدة وفيتنام اتفاقية تجارة ثنائية، وفي كانون الأول 2006، انضمت فيتنام إلى منظمة التجارة العالمية وأقر مجلس النواب الأمريكي إنشاء علاقات تجارية طبيعية ودائمة معها. فيما قد يكون الفصل الأخير من قصة النزاع العسكري الأمريكي-الفيتنامي، في سنة 2006، رفع الرئيس جورج دبليو. بوش الحظر على مبيعات الأسلحة إلى فيتنام.

بالطبع، الأمر ليس كله مشرقاً. رسمياً، لا تزال أمريكة تعد فيتنام دولة «شمولية»تنتهك حقوق الإنسان. لا تزال المصارف بيد الدولة، وليس لدى رجال الأعمال الكثير من الضمانات لتقديمها؛ لأن الدولة لا تزال تمتلك كل الأراضي. الفساد مستشرٍ، وحقوق الملكية الفكرية نادرة، ولا يزال النظام القضائي بيد الحزب الشيوعي. ضرائب الدخل مرتفعة، وانقطاع التيار الكهربائي أمر معتاد. في المناطق الريفية، حيث لا يزال معظم السكان الفيتناميين يعيشون، لم يكن الدخل قد ارتفع مثل المدن.

لكن معدل النمو الاقتصادي في بلد مثل فيتنام يشير إلى قوة تجارية حقيقية، التي ينبغي على العالم الانتباه لها. ترقّب، في السنوات القادمة، ازدياد الاستثمارات على نحو كبير في ذلك البلد. كانت نظرية الدومينو خاطئة؛ لأن الشيوعية بشكلها المجرد لم تستطع

تقديم نموذج اقتصادي مستدام أفضل من الرأسمالية. كانت الديمقراطية في الواقع قد واجهت مشكلات لدى تأسيسها أكثر من الرأسمالية؛ لأن الدول الشيوعية المتنوّرة (التي لا تتضمن كوريا الشمالية) كانت قد أدركت أنها تستطيع الاحتفاظ بالقوة السياسية إذا خففت القيود الاقتصادية. بفسح المجال أمام حرية اقتصادية متواضعة، استطاعت تلك الدول الإبقاء على هيمنتها السياسية - نرى ذلك على نطاق واسع في الصين وروسية، ونراه الآن في فيتنام. كانت تلك الأنظمة قد تعلمت أن اعتناق جوهر الاقتصاد والتأقلم معه هو الطريقة الوحيدة للاحتفاظ بالسلطة السياسية، وأنه طالما كان الناس يتمتعون بحقوق اقتصادية، قد لا يهتمون كثيراً بشأن حقوق الإنسان. كانت أمريكة قد تأسست على المبدأ المعاكس -ينبغي أن تأتي حقوق الإنسان والحرية السياسية أولاً- لكن تلك الدول تقلب النظرية رأساً على عقب مع بعض النجاح المدهش.

انظر أيضاً إلى الدروس التي تتعلق بالعمر في فيتنام. في معظم الدول الصناعية والمتقدمة في العالم، لدينا أزمات تقدم في العمر - بالتأكيد في أمريكة وأوروبة واليابان، يعيش الناس مدة أطول، ولا ينجبون بالمعدلات التي كانت سائدة من قبل. في فيتنام، على العكس، أكثر من 60 % من عدد السكان البالغ 84 مليون نسمة تحت عمر 27. بالرغم من أن ارتفاع نسبة الشبان لا تكون دائماً وصفة للنجاح - دول العالم مع أقل معدل لمتوسط العمر موجودة في إفريقيَّة - إلا أنها السبب في ذلك هنا، نظراً لتركيز الدولة الشديد على التعليم والتفاؤل الذي يعم البلد، خاصة بين الشبان.

وإذا أردت أن تؤسس شركة، خاصة لبيع السلع إلى الأمريكيين، فاصعد على متن طائرة إلى فيتنام وتأكد مما يمكن صناعته هناك للتصدير. القوى العاملة تزداد كفاية.

بعد ثلاثين سنة من فشل الولايات المتحدة في هزيمة الشيوعية في فيتنام، أصبح ذلك البلد نموذجاً للعمل التجاري، ويتبادل السلع والأسلحة والأفكار مع أكبر قوة رأسمالية على وجه الأرض. إلى حدٍ ما، سيكون هذا ما يحدث للعراق، بعد ثلاثين سنة من الآن، والذي رفض الديمقراطية الشكلية، لكنه يعمل مع الولايات المتحدة لتعليم دول أخرى

طريقة تنظيم انتخابات عامة. بالتأكيد، لا يبدو هذا محتملاً الآن. لكن عندما شاهدت مارلون براندو يهبط إلى الجحيم في سفر الرؤيا الآن Apocalypse Now، هل كنت تتخيل أنك ستشتري بُنّاً وأرزاً فيتناميين بمعدل يفوق ما يشترونه منا عشر مرات.

obeikandl.com

النبيذ الفرنسي

ليس هناك شيء يستمتع به الفرنسيون مثل تناول النبيذ. ما عدا، ربما، عدم تناول النبيذ. كانت الثقافة الفرنسية قد اعتمدت على مزج النبيذ بالحياة اليومية –على الغداء، والعشاء– وكلما اجتمع حفنة من الفرنسيين، يكون ذلك عادة على النبيذ. ومسكين الجبن – ماذا سيكون مذاقه دون إضافة نبيذ إليه؟

لهذا إليك حقيقة أن تجار النبيذ الفرنسي يتأففون. في أثناء الأربعين سنة الماضية، لم ينخفض معدل استهلاك الكحول في أي بلد على الأرض أكثر من فرنسة (ما عدا الإمارات العربية المتحدة، حيث في إمارة واحدة على الأقل، يتم جلد الناس لحيازتهم مشروبات كحوليّة). وكل ذلك يتعلق بالنبيذ. بالرغم من أن استهلاك الجعة والمشروبات الروحية الأخرى قد بقي ثابتاً تقريباً في فرنسة، إلا أن استهلاك الفرد الواحد من النبيذ تراجع من 20 لتراً سنة 1962 إلى نحو 8 لترات سنة 2001. بكؤوس النبيذ، ذلك يعادل نحو 235 لكل شخص سنوياً، انخفاضاً من نحو 245. ويُتوقع أن ينخفض أكثر وعلى نحو أسرع مع حلول سنة 2010.

الآن، لأكون عادلاً، لا يزال الفرنسيون يشرون نبيذاً أكثر من أي شخص آخر على وجه الأرض. حتى مع ذلك الانخفاض الكبير، لا يزال معدل شرب الراشدين الفرنسيين 235 كأساً من النبيذ سنوياً – يعادل كأساً واحدة تقريباً كل أيام العمل، أو كأساً واحدة يومياً من رأس السنة حتى بداية أيلول. لكنه تراجع كبير بالرغم من ذلك.

أحد أسباب تراجع استهلاك النبيذ هو تسارع وقت تناول الوجبة الفرنسية. في سنة 1978، كان معدل تناول الوجبة الفرنسية 82 دقيقة. الكثير من ذلك الوقت لنصف إبريق من النبيذ، إن لم يكن لقارورة كاملة. اليوم، انخفض معدل تناول الوجبة الفرنسية إلى 38 دقيقة – وهي تشبه إلى حد كبير أي وجبة أخرى في أي مكان من أوروبة تتضمن شطيرة

لحم عجل وبطاطا مقلية من مكدونالدز. النبيذ ضحية اختفاء الوجبة التي يتم تناولها على مهل. إنه ليس هدف التغيير، لكن تراجع استهلاك النبيذ نتيجة ثانوية لظهور نمط حياة أسرع، أكثر حداثة، ومتقلباً. بعد مقاومة التغيير قروناً، تصبح فرنسة معاصرة، وتتغير عادات العالم القديم بسرعة كبيرة. لم يعد ممكناً إبعاد الأولاد الفرنسيين اليوم عن الإنترنت، وألعاب الفيديو، والتلفاز، والوجبات السريعة. في حين كانت الأرياف منيعة عن التغييرات التي اجتاحت المدينة، نشهد الآن زوال الحدود والتخوم الفرنسية، بينما تحطم القطارات عالية السرعة الحواجز الثقافية وتربط كل ركن في فرنسة.

سبب ثانٍ لتراجع النبيذ إطلاق حملة سلامة عامة أخيراً، التي ركزت أساساً على السلامة الطرقية. ابتداءً من سنة 2004، كانت هناك نحو 10.000 حالة وفاة كل سنة في حوادث طرق مرتبطة بتناول الكحول في الاتحاد الأوروبي، وشهدت فرنسا واحدة من أسوأ المعدلات نسبة إلى عدد سكانها. في الولايات المتحدة، استجابت الحكومة الاتحادية لازدياد حالات الوفاة المرتبطة بالقيادة تحت تأثير الكحول بإرغام كل ولاية على رفع سن السماح بتناول الشراب إلى 21، والذي اتفق الخبراء على أنه أنقذ عشرات آلاف الأرواح. بالرغم من أن فرنسة لم ترفع العمر الذي تسمح فيه بتناول الشراب - 16 سنة- إلا أن وزارة النقل اتخذت خطوات صارمة ضد السائقين المخمورين في السنوات الأخيرة، وأطلقت أيضاً حملة تثقيف عامة تهدف إلى تحذير الناس من تأثيرات القيادة تحت تأثير الكحول. ولهذا قام الكثير من مصنّعي النبيذ، الذين تراجعت أرباحهم كثيراً، بمقاضاة الحكومة - وأطلقوا هجوماً مضاداً لتصنيف النبيذ بوصفه طعاماً. لن يزيل ذلك التحذيرات الصحية المطبوعة على قوارير النبيذ فقط، وإنما سيفتح المجال لظهور إعلانات تلفازية وإذاعية غير محدودة عن النبيذ أيضاً. لا تضحك. صنّفت إسبانية النبيذ طعاماً سنة 2003.

السبب الثالث لقيام الفرنسيين بشرب كميات أقل من النبيذ هو زيادة الوعي الصحي لديهم، مثل العديد من الغربيين. من الواضح أن بعض النساء الفرنسيات يصبحن بدينات فعلاً، ويحاولن اتباع حمية والقيام بتمرينات رياضية مثل أي شخص آخر. وفي

سنة 2007، في محاولة لإلغاء عادة فرنسية جوهرية أخرى، حظرت فرنسا التدخين في الأماكن العامة – ودعم زهاء 70 % من الشعب الفرنسي ذلك الحظر.

ربما يكون مهماً أيضاً أن المهاجرين الذين جاؤوا إلى فرنسة في العقود الأخيرة كانوا مسلمين، ولا يشرب الورعون منهم الكحول. لا تستطيع فرنسة، لهذا السبب، الاعتماد على الجيل الآتي من المسلمين لإنقاذ صناعة النبيذ – إن كان من شيء آخر، قد يفاقم المشكلة، فهو السكان المسلمون الذين تتزايد أعدادهم، وربما تصبح قيمة الأراضي المخصصة الآن للكروم أعلى إذا تم استعمالها لبناء منازل.

عادة، يتم التعامل مع مثل مشكلات استهلاك السلع تلك بتصديرها – إذا لم يشرب مواطنونا الفرنسيون النبيذ، فسنشحنه إلى الخارج. لكن، إلى أين؟ كان مصنّعو نبيذ جدد من الولايات المتحدة إلى أستراليا والصين والبرازيل قد بدؤوا إنتاج نبيذهم الخاص الأرخص، والجيد تماماً. والأمريكيون، من جهتهم، ليسوا مهتمين بالمنتجات الفرنسية، كما كانوا من قبل. كان الخلاف بشأن «شرائح البطاطا الفرنسية»، إضافة إلى عدم الاتفاق في السياسة الخارجية، قد ترك العديد من الأمريكيين يشعرون أن فرنسا لم تعد مثالاً يحتذى كما كانت من قبل. كانت تعد معياراً للرفاهية، ولاعباً رئيساً في التاريخ الغربي، إلا أن فرنسة لم تعد بلداً مثالياً لمعظم الأمريكيين، خاصة عند مقارنتها بالصين، والهند، وروسية، وكان تجار المملكة المتحدة والولايات المتحدة قد استفادوا من تلك الحقيقة لزيادة حصة نبيذ كاليفورنيا في السوق. قبل عقدين، كان ذوّاقة النبيذ يمتنعون عن اختبار عينات نبيذ كاليفورنيا. اليوم، يحتفلون بها. وفيما تعلم شاربو النبيذ الأمريكيون تذوق ميرلوتس وكابرنتس، فقدوا أي طعم لنبيذ بوردو أو ميرسو. كانت صناعة النبيذ الأمريكية تعلّم مستهلكيها في الوقت الذي أدار فيه الفرنسيون ظهورهم لهم، وكانت النتائج كبيرة. في أثناء ذلك، قدمت إسبانية، وأسترالية، وصانعو نبيذ آخرون أنواعاً شعبية، منخفضة التكلفة، وأسهم ذلك في عزل النبيذ الفرنسي نظراً لتكلفته العالية.

تخيل إذا توقف شعب الصين عن شرب الشاي، أو تخلى اليابانيون عن تناول السوشي فستكون النتائج كارثية. وكذلك هي المشكلات التي يسببها قيام الفرنسيون بشرب بيير

Perrier أكثر من بومورول Pomorol. أولاً، تعاني الكروم الفرنسية -بوصفها جزءاً ثرياً من الهوية الثقافية الفرنسية مثل عالم ديزني في الولايات المتحدة- من ضائقة شديدة. بعد الفشل في الاستعداد سواء لتراجع الطلب المحلي أو ظهور منتجين جدد في دول أخرى، كان مصنّعو النبيذ الفرنسيين قد وجدوا أنفسهم مع وفرة في الإنتاج وعنب يتعفن على الكروم. كانت الأزمة قد أشعلت شرارة أعمال عنف مع الشرطة ودفعت الحكومة إلى تقديم مساعدات كبيرة لهم. كان تجار النبيذ الفرنسيون نخبة رجال الأعمال، والقائمون على الالتزام بالمعايير الفرنسية. أصبحوا آنذاك الذين يثيرون أعمال شغب في الشوارع. ابتداءً من سنة 2006، كانت المفوضية الأوروبية تفكر في طرق جديدة لإيقاف تدهور تجارة النبيذ.

ثانياً: بالرغم من أن انخفاض استهلاك النبيذ سيؤدي على الأرجح إلى انخفاض معدلات الإصابة بإدمان الكحول، وتشمّع الكبد، وأمراض أخرى تتعلق بشرب الكحول، قد يتوقع المرء أيضاً تأثيرات صحية معاكسة، إذا كانت الادّعاءات بفائدة النبيذ الأحمر للصحة حقيقية. لا أحد يعرف بالتأكيد إن كان النبيذ الأحمر يقلل من مخاطر أمراض القلب فعلاً، وبالرغم من ظهور هذه النظرية منذ عقود، إلا أن انخفاض معدلات الإصابة بالأمراض الإكليلية في فرنسا على الرغم من أطعمتها الغنية بالدهون يغذي بالتأكيد هذا الشعور.

لكن الآن، مع انخفاض استهلاك النبيذ إلى النصف بعد أربعين سنة، سيكون هذا اختباراً حقيقياً للنظرية - ينبغي أن تزيد النوبات القلبية، وإذا لم يحصل ذلك، يمكن أن تنقلب إحدى أكبر القوى وراء النمو العالمي في استهلاك النبيذ الأحمر رأساً على عقب.

بالطبع، يمكن أن يستفيد بعض الناس من ذلك. إذا كنت رجل أعمال أمريكي، فربما لا تكون فكرة سيئة الحصول على بعض النبيذ الفرنسي الرخيص ووضع لصاقات عليه تعلن «نبيذ فرنسي حقيقي» بسعر يقل عن 10 دولارات للقارورة. سيثير ذلك اهتمام بعض الناس في أمريكة.

وإذا كنت شاباً من عائلة فرنسية كبيرة، فستقوم بادّخار بعض المال -عدّة يورو يومياً- بشرب كميات أقل من النبيذ، وستكون كمن يخصص ذلك المال لوسائل راحة معاصرة

ورفع مستوى العيش. ربما يكون إسهامك في الناتج المحلي الإجمالي أكبر، وتستطيع إنجاز أعمال أكثر؛ لأن ساعات يقظتك ستكون أكبر.

لكن إذا كنت صانع نبيذ فرنسياً، فإنك تواجه مشكلة - سيكون لديك الكثير من الوقت، ويورو أقل في جيبك. ربما تستطيع أيضاً تناول المزيد من النبيذ؛ حتى لا تشعر بمرور اليوم. ولسان حال الجميع يقول: «ماذا حدث فقط للنظام القديم؟».

obeikandl.com

بيكاسو الصيني

هناك شيئان يعرفهما الجميع عن الصين. أولاً: إنها قوة اقتصادية عظمى ناشئة، مع 1.3 مليار نسمة – سيشكل أكثر من 500 مليون منهم طبقة وسطى بحلول سنة 2010. الحجم الكبير للسوق مذهل.

ثانياً: خاصة هنا في الولايات المتحدة، نعرف أنه بسبب تركيز الصين الشديد على العلوم والهندسة، يلتحق مئات آلاف الطلاب بكليات العلوم الرئيسة – تتفوق علينا بسرعة بمعايير شهادات التخرج في العلوم والهندسة، أيضاً.

ربما يفاجئك أن تعرف، لهذا السبب، أن الصين تشكل قوة فنية عظمى أيضاً. بين سنتي 1993 و2005، زادت دور المزادات الرئيسة في الصين حجم مبيعاتها السنوية أربعة أضعاف، من أقل من 2.5 مليون دولار إلى 10 ملايين. وفقاً لمالكي المعارض الفنية الصينية، كان الطلب المحلي على الفن الصيني قد ارتفع 10 أضعاف في السنوات الأخيرة، ويُتوقع أن يستمر في الارتفاع. هذا، بالطبع، انعكاس لازدهار تلك الطبقة الوسطى الصينية – التي لم يعد لديها جدران لتزيينها وثروات تتباهى بها فقط، وإنما تريد مكاناً آخر غير سوق الأسهم الصينية المتقلب لتضع أموالها فيه.

بالرغم من ذلك، الاهتمام الصيني المتزايد بالفن –كبير حتى بالنسبة للصينيين أنفسهم – ليس نهاية القصة. هذا توسع عالمي. منذ الثمانينيات، كانت أسعار اللوحات الزيتية الصينية المعاصرة في الأسواق العالمية قد ارتفعت إلى مستويات غير مسبوقة، ووصلت في بعض الحالات إلى 100 ضعف سعرها الأصلي. بين سنتي 2004 و2006 وحدهما، زادت ساوثبي Sotheby وكريستي Christie مبيعاتهما الفنية الآسيوية (معظمها صيني) المعاصرة من 22 مليون دولار إلى 190 مليوناً. فجأة، أصبح الفن الصيني ناراً على علم في السوق العالمية.

obeikandl.com

ليس سيئاً لبلد كان يطلب قبل بضع سنوات أن تمجّد كل «الفنون» الحزب الشيوعي – صحيح؟ ماذا حدث؟

أولاً، كانت الصين رائدة العالم في عدّة أنواع من الفنون، مثل الخط، وبالطبع، الخزف الذي يدعوه معظمنا في الغرب ببساطة «صيني». لكن القرن العشرين كان زمن انحسار، مع القمع الشيوعي لمعظم أشكال التعبير الفني. بعد وفاة ماو زيدونغ سنة 1976، شهد الفن مدة ازدهار مؤقتة، مع مجازفة الفنانين برسم بعض اللوحات بأسلوب حديث – لكن في سنة 1989، أغلقت الحكومة معرض «الصين/الحركة الحديثة» في متحف الفن القومي في بكين بعد أسابيع من افتتاحه. حصلت بعد عدّة شهور مجزرة ساحة تيانانمين، وهرب العديد من الفنانين من وطنهم أو تخلوا عن الفن نهائياً.

ببطء فقط، وفي أثناء عقد التسعينيات، عاد الفن الصيني للظهور. في سنة 1992، أجازت السلطات الشيوعية إقامة سوق حرة للفن، وبدأت تخفيف إجراءات الرقابة. بحلول سنة 1995، عرض الفنانون الصينيون أعمالهم في ملتقى البندقية، وهو معرض عالمي رئيس للفن المعاصر؛ وفي سنة 1996، تقاطر الأمريكيون على معرض الفن الآسيوي العالمي في نيويورك. في سنة 2004، كجزء من التزاماتها عضواً في منظمة التجارة العالمية، فتحت الصين أبوابها لدور مزادات الفن الأجنبية؛ وبحلول سنة 2006، حققت ساوثبي وكريستي رقماً قياسياً في مبيعات الفن الصيني المذكورة آنفاً (بالرغم من أن معظمها لا يزال يجري أساساً خارج البر الرئيس). اليوم، ترعى الحكومة الصينية رسمياً نجوم الفن العالمي.

عندما تفكر الآن في الفن الصيني، لا تذهب بذهنك إلى المشاهد الريفية فقط، مع ضربات الفرشاة الزيتية الغريبة تلك. يقدم كبار الرسامين الصينيين اليوم لوحات كاملة لموسيقيين، وغانيات، وعائلات، ولاعبي خفّة، إضافة إلى لوحات مجرّدة. تصوّر بعض اللوحات أطفالاً حمراً في مشاهد طبيعية ما بعد حقبة التصنيع، أو حيوانات إلياك (نوع من الثيران) تجر عربات عبر خطوط السكك الحديدية. وقد أصبح العديد من هؤلاء أسماء بارزة في العالم، كنجوم غربيين معاصرين مثل ديمن هيرست وجيف كوونز.

باع ليو كزيادونغ البالغ من العمر ثلاثاً وأربعين سنة من إقليم ليونينغ لوحته رجلاً مع امرأتين إلى رجل أعمال صيني بسعر قياسي بلغ 2.7 مليون دولار في تشرين الثاني2007. في الوقت نفسه تقريباً، باع زهانغ كزياغانغ، 48 سنة، من إقليم يونان، المعروف بلوحاته التي تشبه الصور الضوئية عن الثورة الثقافية، لوحته ساحة تيانانمين مقابل 2.3 مليون دولار في صالة كريستي في لندن.

ولا يتعلق الأمر باللوحات فقط. كي جو-كيانغ الذي يقطن نيويورك، والمولود سنة 1957 في إقليم فوجيان، معروف بابتكاره قوس قزح عبر النهر الشرقي للاحتفال بافتتاح متحف الفن الحديث المؤقت في كوينز، وتفجيره تنيناً من مسحوق العناية بالطفل عبر التايمز. كانت اللوحات والأفلام والفيديو والصور الضوئية والمسرحيات الصينية قد أصبحت من بين الأكثر إبداعاً في العالم.

ربما ينبغي بنا -خاصة في أمريكة- ألا نفاجأ. كان أحد آبائنا المؤسسين، جون آدمز، قد كتب مرة إلى زوجته آبيغيل أنه «يجب أن يدرس السياسة والحرب، وربما يدرس ... أبنائي ... التجارة والزراعة، من أجل منح أولادهم الحق في دراسة الرسم، والشعر، والخزف». لهذا ربما يكون التطور الطبيعي أن تفسح الحرب الطريق للتجارة، في حين تفسح التجارة الطريق للفن. ربما تشكل أسواق الصين المزدهرة، ورجال أعمالها، وعلماؤها -بدلاً من نفورهم من الفن- أرضية خصبة طبيعية لذلك الفن.

التأثيرات كبيرة، كما هو كل شيء في الصين. الطبقة المتنامية من الفنانين الصينيين بالملايين - بما في ذلك شبان في العشرين من العمر يبيعون صوراً ضوئية لمستكشفين غربيين مقابل 10.000 دولار للمجموعة؛ وأبناء الثلاثين والأربعين الذين ولدوا في أثناء الثورة الثقافية ويشكلون الآن نقطة تقاطع، كما قال أحد المراقبين: «نظام شمولي واستهلاكية ثائرة»؛ وأبناء الخمسين والستين الذين كبروا في أثناء الثورة الثقافية، ويتمتعون الآن بالخبرة، وبعض الحرية لانتقادها.

هناك حتى سوق كبيرة لإنتاج وإعادة إنتاج الفن على نطاق واسع. تضم بلدة صينية تدعى دافن، تقع خارج مدينة شينزهو الجنوبية، مئات محال اللوحات الزيتية، في حين

يستطيع آلاف من عمال خطط التجميع إعادة تجميع القطع الفنية التي تريدها في أثناء دقائق – صينية، أو أجنبية، كلاسيكية أو معاصرة. تتكلم عن الأساس التجاري للتعبير الفني.

ترقّب صناعة مزدهرة لتجار ومسوّقين ووسطاء، وبالطبع، مزيّفي الفن الصيني. كان على السلطات الثقافية الحكومية إقرار قانون في سنة 2003 يطالب كل مؤسسات المزادات الفنية والأشخاص الخضوع لفحص سنوي لكشف التزييف في سوق الفن الضخم، لكن الناشئ.

والمشاهدون يزدادون أيضاً. الواضح أن الصينيين الشبان يحبون معارض الفن الناشئة، مما يجعل متابعة الإنتاج الفني واحدة من أسرع أشكال التسلية نمواً في الصين. ونتيجة لذلك، يتطلع كل من متحفي كوينغهام الأمريكي وبومبيدو الفرنسي لافتتاح فروع في الصين.

نعم، ينبغي أن تتطور السوق، بمعايير حرية الفنانين وأذواق المشترين. لا تزال الحكومة تراقب بعض الأعمال، خاصة إذا كان الأمر يتعلق بسياسات معاصرة، وعدم الرغبة في إفساح المجال للكثير من الفن بمغادرة البر الرئيس. من جانب المشترين والنقّاد، أيضاً، ينبغي إجراء بعض التغييرات الطفيفة – لا تزال بعض المعارض تدفع للرسّامين وفقاً لحجم اللوحة.

لكن شعوري أن ازدياد أعداد الفنانين الصينيين نبأ جيد للجميع. ليس المبدعين الصينيين فقط، الذين كانوا قد كسبوا بعض الحرية للتعبير عن أنفسهم جمالياً؛ وليس فقط طبقات وطبقات من التجار الصينيين والعالميين الذين أسسوا شركات للاهتمام بأعمالهم. وليس حتى أشخاصاً من كل الدول الذين ربما يستطيعون الآن التواصل مع المزيد من المواطنين الصينيين عبر مستويات مختلفة. لا، ازدياد أعداد الأعمال الفنية نبأ جيد للصين – إذا كان التحرير المتزايد للتعبير الفني يشير إلى ازدياد الحرية السياسية والاقتصادية أيضاً.

obeikandl.com

أثناء الحرب الباردة، استخدم الشاعر والمؤلف المسرحي التشيكي فاكلاف هافل الفن، قبل أن يستفيد من السياسة، لتحدّي قبضة الحكومة الشيوعية على بلاده. في سلسلة من المسرحيات التي لقيت نجاحاً عالمياً، صرخ هافل طلباً للحرية وفتح المجتمع التشيكي. في سنة 1989، أصبح هافل رئيساً لتشيكوسلوفاكيا الديمقراطية حديثاً (ولاحقاً جمهورية التشيك) - ودون عنف. يوماً ما، ربما يعلن الفنانون الصينيون فصلاً جديداً من الإصلاحات ليست الفنية فقط، وإنما السياسية والاقتصادية أيضاً.

وأخيراً، إذا أردت الوقوف على أرض صلبة في مجتمع فني ناشئ، فاذهب إلى حيث يزدهر العمل - العمل العادي. ربما يكون جون آدمز قد فكّر أنه يسلّي زوجته بقريحته الشعرية التي تناولت تراث عائلته الشخصي، لكنه كان يقدم ملاحظات مهمة عن المجتمع. ربما يجعل حجم الصين، وتاريخها الغني في الإبداع الجمالي، منها مكاناً جيداً على نحو استثنائي لازدهار الفن الآن. لكنَّ هناك دولاً أخرى يرتفع فيها الناتج المحلي الإجمالي بثبات مثل: أذربيجان أستونيا، وترينيداد وتوباغو، وغانا. ربما يكون الفن التعبيري الأستوني الذي أعجبك استثماراً جيداً أيضاً. وبالطبع، فيتنام.

اسأل الوسطاء - حيث يوجد رخاء، قد يكون هناك فن. وحيث يوجد ازدهار وتغير اجتماعي سريع، ربما يكون هناك فن مهم، وقوي، يسهم في ذلك التغيير.

openkandil.com

تأرجح روسي

هذه النزعة عن وسط الناخبين الروس. إنها عن الروس الذين اتجهوا في التسعينيات نحو الديمقراطية، وقد ارتدوا عنها الآن. لا يمسكون مستقبل روسية فقط بأيديهم، وإنما يقولون لنا شيئاً مهماً عن الديمقراطية مقابل الرخاء، اللذين كما يفترض الجميع غالباً في الغرب تمشيان يداً بيد.

كانت أواخر الثمانينيات أياماً مجيدة لديمقراطيي الكتلة الشرقية. كانت حركة التضامن البولندية تدخل محادثات ثنائية حقيقية مع حكومتها الشيوعية؛ كانت هنغاريا تؤسس لانتخابات متعددة الأحزاب؛ وكان سكان ألمانية الشرقية يتظاهرون في الشوارع طلباً لحق السفر. ثم سقط جدار برلين، وتخلى الحزب الشيوعي عن السلطة في تشيكوسلوفاكية ورومانية وبلغارية وألبانية. في سنة 1990، اتحد شطرا ألمانية الغربي والشرقي، وتفكك أخيراً الاتحاد السوفيتي نفسه.

كان الروس ممتلئين أملاً. بعد خمس وسبعين سنة من الحكم الشيوعي -وقرون من حكم القياصرة المستبدين قبل ذلك- أخبرت أغلبية الروس سنة 1991 «نبض للدراسات الأوروبية» Pulse for Europe Survey أنهم يعتقدون أن بلدهم ينبغي أن يعتمد على حكومة ديمقراطية بدلاً من قائد قوي لحل مشكلات البلد. بين الشبان الروس، الذين تتراوح أعمارهم بين 18-34، قال 6 تقريباً من كل 10: إنهم يفضلون الديمقراطية على اليد القوية. كان الوعد بكل من الحرية الاقتصادية والسياسية قوياً، ومثيراً.

ووفقاً للعديد من المقاييس، تحققت آمال الروس. بعد كساد اقتصادي مبدئي في التسعينيات، كان اقتصاد روسية قد نما ثماني سنوات على الترتيب، وفاق معدلات النمو في كل دول مجموعة الثماني الأخرى. بفضل ارتفاع أسعار الطاقة واحتياطيات روسية الضخمة من النفط والغاز الطبيعي، ترتفع مداخيل الروس، وقدرتهم الشرائية، وتنتعش

سوق الأسهم، وينمو الطلب الاستهلاكي. كانت الطبقة الوسطى الروسية قد ضمت بين 40 و50 مليون شخص. في هذا السياق، شكل سقوط الشيوعية نجاحاً رائعاً، ودفع الديمقراطية والرأسمالية قدماً إلى الأمام.

لكن اليوم، يخبر الروس القائمون على استطلاعات رأي عالمية بعض الأشياء المثيرة للدهشة. وفقاً لمشروع «مواقف عالمية» لمركز بيو Pew، الذي ورث «نبض للدراسات الأوروبية»، يفضل 28 % فقط من الروس الآن حكومة ديمقراطية على قائد قوي – انخفاضاً من 51 % سنة 1991. (في سنة 2002، انخفضت نسبة الذين يفضلون حكومة ديمقراطية إلى 21 %). تقول نسبة 81 % من الروس –تضم كل مجموعة سكانية– الآن: إن اقتصاداً قوياً أكثر أهمية بالنسبة لهم من ديمقراطية جيدة.

لوضع هذا التحول عن الديمقراطية إلى قائد قوي ضمن سياقه الصحيح، قارن بيو التحول الروسي بنزعات في العالم الإسلامي، حيث الحكم الشمولي معتاد. في خمس من الدول الإسلامية –المغرب، ولبنان، وتركية، وإندونيسية، والأردن– قال أغلبية المشاركين في الاستطلاع: إنهم سيفضلون أن تقوم المؤسسات الديمقراطية بحل مشكلات البلاد بدلاً من قائد يحكم بيد من حديد. من في رأيك أكثر التزاماً بالحكم الديمقراطي –تلك الدول الإسلامية، التي ربما لا يستطيع معظم الأمريكيين إيجادها على خريطة– أم حليفنا الأوروبي روسية، التي مدّتها الولايات المتحدة بنحو 2 مليار دولار على شكل مساعدات منذ ابتعادها عن الشيوعية قبل أكثر من خمس عشرة سنة؟

ما يبدو أنه يبرز هو الصوت المتأرجح الروسي. الناخب الذي اعتاد على التظاهر طلباً للديمقراطية، لكنه يفضل بقوة الآن حاكماً قوياً مع سلطة مركزية.

هوية هذا الناخب مهمة لمستقبل روسية. إنه أنثى في البداية. وفقاً لتحليل بيو، كان الرجال الروس أكبر المستفيدين من الديمقراطية في بداية التسعينيات – يفضلون الديمقراطية على قائد قوي بنسبة 58 إلى 35 %، مقارنة بدعم فاتر من النساء بنسبة 46 إلى 42 %. لكن الآن، نحو ثلثي كل الروس –رجال ونساء– يفضلون قائداً قوياً.

ثانياً: ناخبو روسية الجدد المتأرجحون هم على نطاق واسع شبان كانوا في مقدمة حركة دعم الديمقراطية في بداية التسعينيات. في حين كان نحو 6 من كل 10 روس تتراوح أعمارهم بين 18-34 يفضّلون الديمقراطية عندها، تحول الآن هؤلاء الأشخاص أنفسهم، بعد أن بلغوا من العمر 30 و40، في تفضيلهم لقائد قوي بهامش أوسع (66 إلى 29 %).

أيضاً، للمال تأثير على هذا التحول. المجموعة الأقل دخلاً في روسية هي الأقل اقتناعاً بالأشكال الديمقراطية للحكومة.

إنه رجل، محبط، وليس أحد أفراد الطبقة الوسطى. الناخب المتأرجح هو من يرى الفجوة المتسعة بين الأغنياء والفقراء، ويعرف أنه على الجانب الخاطئ. إنه محبط من النظام التعليمي في روسيا؛ وانخفاض الشعور بالأمان (أقل من 3 من كل 10 روس يشعرون بالأمان في الشوارع)؛ والفساد المستشري فيها (في موسكو وحدها سنة 2006، قال 40 % من الذين تم استطلاع آرائهم: إنهم قدّموا رشوة في الشهور الاثني عشر الأخيرة). هذا هو صوت روسية المتأرجح.

بالطبع، يتعرض التصويت من أي نوع في روسية لتحديات كبيرة هذه الأيام. ربما مدعوماً بدراسات تظهر أن الروس يحبون أن تكون القيادة بيد رجل قوي، كان الرئيس فلاديمير بوتين قد استبدل حكام المناطق المنتخبين بأشخاص عيّنهم بنفسه؛ اقترح إنهاء العمل بانتخابات رؤساء البلديات؛ جعل تشكيل وتسجيل أحزاب سياسية جديدة أمراً صعباً؛ وضايق كثيراً مجموعة معارضة -معروفة باسم «روسية الأخرى»، التي يقودها بطل الشطرنج غاري كاسباروف- حتى اختفت عملياً. كان قائد حزب سانت بطرسبرغ قد أخبر نيويورك تايمز في بداية سنة 2007: «لن أدعو العملية الجارية في بلدنا ديمقراطية».

بالرغم من ذلك، هناك احترام للرأي الشعبي. لا تزال استطلاعات الرأي والدراسات محط اهتمام بوتين، الذي يراقب بالتأكيد معدل شعبيته التي وصلت إلى 70 %، بمرح. يعقد بوتين جلسات «سؤال وجواب» مباشرة بين الفينة والأخرى مع

الشعب الروسي عبر البريد الإلكتروني والهاتف لسماع ما يثير قلقهم ومشاركتهم في حين يخطط له. بالرغم من أنه مفهوم على نطاق واسع أن بوتين سيختار من سيخلفه سنة 2008 (إلا إن كان سيتحايل على الدستور ليمنح نفسه ولاية ثالثة)، إلا أن مراقبين يقولون: إنه بدأ إطلاق مناطيد اختبار للمرشحين ابتداءً من سنة 2006؛ ليتأكد من أن اختياره سيكون موضع ترحيب.

لهذا روسية على مفترق طرق. من ناحية، يبدو الرئيس بوتين يميل لجعل روسية «دولة نفطية شمولية»، كما دعاها أحد المراقبين، وأن يتولى قيادة الحركة العالمية المعارضة للولايات المتحدة. تم وصف خطابه في شباط 2007 في ميونيخ بأنه «الخطاب الأكثر عدوانية من قائد روسي منذ نهاية الحرب الباردة».

لكن من ناحية أخرى، يمتلك الناخبون في روسية -بمن فيهم المتأرجحون الذين دعموا مرة الديمقراطية- القوة لحث قادتهم على تذكر توسع الطبقة الوسطى، وجذب وليس عرقلة المزيد من الاستثمارات الأجنبية، والسماح بالمزيد من الحرية الاقتصادية والديمقراطية. نعم، خاب أملهم من الكساد في مرحلة ما بعد الشيوعية في التسعينيات، وبالرغم من أنهم يقدّرون النمو الاقتصادي الذي حدث إبّان حكم بوتين وتعجبهم قوته، إلا أن هناك أيضاً شعوراً متنامياً أنهم قلقون بشأن ذلك، أيضاً. منذ سنة 2002، كان عدد أولئك الذين يفضّلون الديمقراطية على قائد قوي قد ارتفع من 21 إلى 28 %. في الواقع، في دراسة تم إجراؤها سنة 2006، قال نصف الروس تقريباً: إنهم قلقون، بعض الشيء على الأقل، من أن رئيسهم «ربما يحاول إقامة ديكتاتورية صارمة، بالاعتماد على قوات الأمن».

لهذا يمكن لناخبين متأرجحين أن يساعدوا في قيادة هذا البلد لتجاوز مفترق الطرق الذي وصل إليه. وفيما الناخبون المتأرجحون الأمريكيون «أمهات كبيرات في السن»، الناخبون المتأرجحون في روسية رجال ركبي لا يمانعون الرقص قليلاً في حفلة الديمقراطية. إن كان من شيء، يعزّز هؤلاء الناخبون الروس ما نجده في كل أنحاء العالم - أن الناس يريدون حرية اقتصادية أولاً: ومؤسسات ديمقراطية، ثانياً: حالما يصبحون

ميسورين قليلاً. للمؤسسات حديثة العهد بالديمقراطية طريقة في عرقلة الأمور، في حين تحتاج الدول النامية، الشجاعة بما يكفي؛ لتحاول تحرير اقتصادياتها، إلى تحقيق بعض النتائج السريعة. وحتى في أماكن مثل روسية، التي لديها تاريخ من الحكم القاسي الاستبدادي، يختار الناخبون المتأرجحون إنقاذ الاقتصاد على إنقاذ الديمقراطية. لكن إذا كانت الديمقراطية هي تحقيق مكاسب أيضاً، فستكون هناك وسيلة ديمقراطية جوهرية بيدي الناخبين المتأرجحين.

obeikandl.com

نهضة نساء الهند

قبل مئة وخمسين سنة، كانت الأرامل في الهند يقتلن أنفسهن في طقوس دفن أزواجهن، في تقليد معروف باسم ساتي. اليوم، قائد أقوى حزب سياسي في الهند (وإحدى الشخصيات المحبوبة جداً في تلك الأمة التي يزيد تعدادها عن 1 مليار) هو امرأة. كانت حماتها، أنديرا غاندي، رئيسة وزراء الهند أكثر من خمسة عشر عاماً. في كل أنحاء العالم، تعتلي نساء الهند قمة العمل التجاري والعلوم والرياضة والفنون. بالنسبة لمجموعة لم تكن لديها تقريباً هوية خارج المنزل، قطعت المرأة الهندية شوطاً طويلاً.

كانت الهند نفسها قد قطعت شوطاً طويلاً. ابتداءً من سنة 2007، نما اقتصادها بثبات بما يزيد على 8 % سنوياً، مما يجعلها ثاني أعلى نسبة نمو في العالم فقط بعد الصين. طبقتها الوسطى -زهاء 300 مليون شخص- بعدد سكان الولايات المتحدة كلهم. في العقد الأخير، كانت الهند قد انتشلت أشخاصاً من الفقر أكثر من عدد سكان أوروبة الغربية. في التسعينيات، زادت الهند معدل معرفة القراءة والكتابة 13 نقطة - نحو ثلثي عدد السكان الآن. بحلول سنة 2030، يُتوقع أن تكون الهند ثالث أكبر اقتصاد في العالم، بعد الولايات المتحدة والصين.

كانت نساء الهند قد حصلن على حصة طيبة من الازدهار الوطني. في مناطق الهند الحضرية، كانت عمالة النساء قد ارتفعت أخيراً أكثر من عشرة أضعاف معدل عمالة الرجال. كان الاقتصاد الذي يعتمد على نحو متزايد على المعرفة قد أتاح المزيد من الفرص للنساء الهنديات المتعلّمات، اللواتي لم يعدن بحاجة للسفر إلى مصانع بعيدة للارتقاء ضمن القوة العاملة. وعلى قمة لائحة نجاح النساء الهنديات المهني النجمات العالميات اللواتي نذكرهن أدناه.

بالطبع، لا يزال أمام الهند الكثير لتفعله، لكل من الرخاء الوطني وحصة النساء فيه. لا تزال الهند موطناً لأكبر عدد من فقراء العالم، مع نحو 600 مليون شخص يعيشون على أقل من 2 دولار في اليوم، و250 مليوناً آخرين يعيشون على نصف ذلك. يموت زهاء 2 مليون طفل هندي كل سنة قبل عيد ميلادهم الأول. لا يزال ثلثا السكان يعيشون دون خدمات أساسية، بما في ذلك 450 مليون شخص ليس لديهم كهرباء.

نمو معدل كل ألف شخص للرجال والنساء العاملين في الهند الحضرية، 1999-2005

المصدر: موقع العمالة والبطالة في المدن والبلدات في الهند،2004-2005: مكتب دراسة العينات الوطنية، وزارة الإحصائيات والبرامج التنفيذية، حكومة الهند، آذار 2006.

ومكتسبات المرأة لها بداية ونهاية. على الرغم من أن نساء المدن يرتقين في قوة العمل، إلا أن أغلبية أعمالهن تبقى في قطاعي الزراعة والمنتجات المحلية منخفضة الدخل. التعليم الأساسي للبنات يزداد انتشاراً، لكن أقل من نصف الفتيات الهنديات ينتسبن إلى المدرسة الثانوية. ساتي، المذكور أعلاه، وجرائم المهر –عادة قتل الزوجات الشابات اللواتي لا يستطعن تقديم المهر الذي يتوقعه أزواجهن– محظوران رسمياً، لكنهما لا يزالان يحدثان. العنف ضد المرأة في كل أنحاء الهند مرتفع؛ وإجهاض الأجنة الإناث ليس واسع النطاق فحسب وإنما يزداد أيضاً – حتى بين عائلات دخلها مرتفع. بمعايير سياسية، بالرغم من أن هناك قانوناً على المستوى المحلي بمنح ثلث مقاعد الهيئات التشريعية

لنساء، إلا أن مشروع القانون الذي اقترح النسبة نفسها على المستوى البرلماني كان قد فشل مراراً وتكراراً في الحصول على أغلبية الأصوات.

لكن كما هي حالة كل ديمقراطية على وجه الأرض الآن، تبدو نهضة النساء في الهند مؤكدة، ومهمة. في السياسة -بعيداً عن عائلة غاندي الثرية- تزداد أعداد المشرّعات، وإن كان ببطء. في عدّة ولايات هندية، يفوق تمثيل النساء نسبة 33 % المطلوبة، ويثبت الخبراء الآن الفرق الذي تُحدثه قيادة النساء. وفقاً لدراسة سنة 2005 قام بها باحثون في كلية لندن للاقتصاد، ازدياد التمثيل السياسي للنساء الهنديات بنسبة 10 % يؤدي إلى ازدياد احتمال أن يحصل طفل لامرأة حضرية على التعليم الأساسي بنسبة 6 %.

في العمل أيضاً، تحطم نساء مثل نينا لال كيداوي وقران مازمدار شاو كل الصور النمطية عن النساء والموارد المالية. كانت كيداوي، الرئيس التنفيذي لفرع المصرف الأوروبي إتش-إس-ب-سي HSBC في الهند، أول امرأة هندية تتخرج في كلية إدارة الأعمال في هارفرد، وتدير الآن 50 % من الاستثمارات المؤسساتية الأجنبية في بلدها. في أثناء سنة من توليها منصب الرئيس التنفيذي لإتش-إس-ب-س الهند، أوردت إنديا توداي India Today أن أرباح المصرف قبل اقتطاع الضرائب ارتفعت 85 %.

يقال: إن شاو، التي جاءت أصلاً من بنغالور وكانت أول امرأة هندية تعمل في صناعة الجعة، والرئيس والمدير العام حالياً لأكبر شركة صيدلانية في الهند، بيوكون المحدودة Biocon Ltd، أغنى امرأة في الهند، مع ثروة صافية تُقدّر بنحو 500 مليون دولار.

في الفنون أيضاً، كانت مخرجة/كاتبة/منتجة الأفلام ميرا نير قد حققت نجاحاً كبيراً في كل من بوليوود وهوليوود. من باكورة إنتاجها الذي لاقى نجاحاً واسع النطاق سلام بومباي! إلى الحائز على جائزة أفضل عمل سينمائي ماسالا الميسيسبي إلى الفيلم الذي تم ترشيحه لنيل جائزة غلوب الذهبية زفاف رياح موسمية إلى الفيلم الناجح سنة 2007 تشابه أسماء، كانت نير قد حطمت أي صور نمطية عن ضعف النساء في بوليوود التي يسيطر عليها الرجال، وحاولت عبر محتوى أفلامها سد الفجوة الثقافية العالمية مثل أي

صانع أفلام اليوم. تمثل بوليوود نفسها الآن صناعة فائقة التطور، لدرجة أن نجوم هوليوود البارزين -مثل جورج كلوني- يتقاطرون للعمل فيها.

ينتشر هذا النوع من التأثير العالمي في كل مجال. يشكل الهنود أكبر مجموعة من الطلاب الأجانب في الولايات المتحدة، بنحو 15 %. يبقى العديد منهم - بعد التخرج في كلية الإدارة في ييل Yale، تدرّجت نويي في المناصب لتصبح رئيسة شركة بيبسي، وتمت تسميتها سنة 2006 رابع أقوى سيدة أعمال في العالم. جاءت كالبانا تشاولا إلى الولايات المتحدة لدراسة هندسة الطيران في جامعة تكساس، وكانت أول امرأة مولودة في الهند تطير إلى الفضاء، وواحدة من سبعة أفراد هم الطاقم الذي لقي حتفه في كارثة مركبة الفضاء كولومبيا.

سواتي داندكار، الديمقراطية من آيوا، أول امرأة مولودة في الهند يتم انتخابها إلى مجلس تشريع ولاية أمريكية. حصلت نجمة كرة المضرب سانيا ميرزا، أول رياضية هندية تظهر على غلاف مجلة تايمز، على فتوى خاصة بها، لأن ملابس كرة المضرب لا تناسب ما تمليه الشريعة بالنسبة للفتيات الهنديات المسلمات.

الواضح أن كيداوي، وشاو، ونير صديقات مقرّبات -شاو ونير منذ الطفولة- مما قد يوحي بشيء عن البيئة النقية التي تترعرع بها النساء الهنديات البارزات. نعم، في أمة مع نصف مليار امرأة، ستكون هناك على الأرجح نساء يبقين وحدهن أكثر من معظم الدول الأخرى على وجه الأرض. لكن ليس هناك شك بذلك، نهضة المرأة الهندية ثابتة وقوية، وقد ينشأ عنها تغييرات ضخمة ليس لثاني أكبر بلد في العالم فقط، وإنما للعالم كله أيضاً.

obeikandl.com

إرهابيون مثقفون

قوة الصغير أكبر عندما تكون تدميرية.

استطاعت أعداد صغيرة دائماً تنفيذ عمليات اغتيال غيّرت مجرى التاريخ، لكن لم تكن هناك من قبل حفنة صغيرة من الناس يمكنها تحقيق اضطرابات كثيرة، كما هو عليه الحال في العالم المعاصر. نعرف جميعنا أن خلية إرهابية مع قنبلة نووية في حقيبة سفر يمكنها أن تغير تاريخنا للأبد.

تطلب الأمر شخصاً مجنوناً واحداً لتحويل معهد فيرجينيا التقني إلى حقل قتل وجعل أمة تنوح على نفسها. تطلب الأمر أقل من أربعة وعشرين خاطفاً لتحطيم مركز التجارة العالمي.

لكن هناك فرق كبير بين الحادثتين. كانت حادثة معهد فيرجينيا التقني نتاج ذهن مخبول واحد ماتت أفكاره معه، في حين كانت 9/11 نتيجة حركة فكرية ودينية امتلكت القوة لإقناع، حتى أشخاص مثقفين وعاقلين للتضحية بحياتهم والقيام بعملية قتل جماعية. إذا كان هؤلاء استطاعوا تدمير مركز التجارة العالمي، كانوا سيدمرون كل نيويورك لو توافرت لهم الوسائل.

ينبغي ألا تكون قوة أي حركة مثل تلك موضع شك. مع أكثر من مليار مسلم في العالم، يمكن للقاعدة أن تزيد عدد المنتسبين لها إلى 10 ملايين إذا أقنعت 1 % فقط بالانضمام إلى الحركة – قوة أكبر من أي جيش حالياً، وقوة يمكنها تنظيم عصيان هائل يحول العالم إلى كابوس.

في القرن العشرين، غيرت حركات كبيرة مثل الفاشية والشيوعية العالم، وكانت خلف العديد من النزاعات العالمية. اليوم، يمكن أن تكون الحركات المتطرفة صغيرة، لكنها بالرغم من ذلك تستطيع إحداث فوضى مشابهة. ليست بحاجة إلى حكومة، أو انتخابات، أو رعاية حكومية (بالرغم من أنها تتطلع إليها)، وتستطيع الإجهاز على مجتمع كما نعرفه.

لحسن الحظ، لا يزال أمام القاعدة طريق طويل للوصول إلى نسبة 1 %.

obeikandl.com

وفقاً لـ «قاعدة معرفة الإرهاب»، مصرف بيانات شامل عن حوادث ومنظمات الإرهاب العالمية، هناك ما يصل إلى 1255 مجموعة إرهابية في العالم. من بين تلك المجموعات، صنّفت وزارة الخارجية الأمريكية اثنتين وأربعين منها بأنها «منظمات إرهابية أجنبية». حتى الآن، أكبر تلك المنظمات هي القاعدة، التي تضم نحو 50.000 عضو، وقواعد في خمس وأربعين دولة. في الواقع، يبلغ عدد أعضاء كل المنظمات الاثنتين والأربعين زهاء 125.000 شخص فقط، مما يدل على ضخامة القاعدة النسبية في هذا المجال.

بعض المنظمات الإرهابية الأجنبية المصنفة من قبل وزارة الخارجية الأمريكية

اسم المنظمة	قاعدة العمليات	تقدير عدد أفرادها
القاعدة	45 دولة	~ 50.000
قوات الدفاع الذاتي المتحدة في كولومبيا	كولومبيا	< 20.000
جيش الشعب الجديد	الفلبين	16.000
القوات المسلحة الثورية في كولومبيا (فارك)	كولومبيا	12.000
نمور تحرير التاميل إيلام	سريلانكا	~ 8000
جيش التحرير الوطني	كولومبيا	3000
أوم شينريكو/آلف	7 دول بما فيها اليابان	< 2000
حماس	الضفة الغربية/غزة	< 1000
حزب الله	لبنان	1000
حزب العمال الكردستاني	تركية	< 1000
د-إتش-ك-ب/سي	تركية	> 1000
الجهاد الإسلامي الفلسطينية	لبنان، سورية، الضفة الغربية/غزة	> 1000
الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين	الضفة الغربية/غزة	800
الدرب المضيء	بيرو	500
الجهاد الإسلامي المصرية	أفغانستان، مصر	< 300
الجماعة الإسلامية	إندونيسية، ماليزية، الفلبين، سنغافورة	< 300
منظمة القاعدة في المغرب الإسلامي	الجزائر، مالي، موريتانيا، النيجر	300
الباسك وطن الأجداد والحرية	إسبانية	300
الجيش الجمهوري الأيرلندي المستمر	أيرلندة، المملكة المتحدة	< 200
جيش محمد	كشمير، باكستان	< 100
الجماعة الإسلامية المسلحة	الجزائر	> 100

obeikandl.com

كنسبة من عدد سكان العالم، يشكل 125.000 إرهابي 0.002 %. وإذا نظرنا فقط إلى الجماعات الإسلامية المتطرفة على قائمة المنظمات الإرهابية الأجنبية الاثنتين والأربعين، نجد نحو اثنتين وعشرين منها. تضم تلك المنظمات الاثنتين والعشرين - تتراوح من القاعدة وعدد أعضائها 50.000؛ إلى حماس وحزب الله اللتين تضم كل منهما نحو 1000 عضو؛ إلى جيش محمد في باكستان والجماعة الإسلامية المسلحة في الجزائر وتضم كل منها نحو 100 عضو - مجتمعة نحو 57.500 إرهابي عالمياً. كنسبة من المليار مسلم في العالم، يشكل هؤلاء نحو 0.004 %. إذاً، تلك نسبة بعيدة جداً عن نزعة 1 % المجهرية، لكن يتم تصنيفها بأنها نزعة منمنمة بالغة الأهمية وخطيرة تماماً.

ليست بحاجة لأن تتحول إلى حركة ضخمة لتحقق النجاح. بدلاً من ذلك، تحتاج إلى كادر متزايد من العملاء الأذكياء، والمحترفين، والقساة. لا يعتمد نموها الآن على جذب مئات الملايين وإنما على إنشاء طبقة قيادة يمكنها جمع الأموال والموارد وتنفيذ عمليات.

بالرغم من أنه يتم غالباً ذكر الفقر بوصفه سبباً رئيساً لنمو الأصولية، إلا أن مؤسسي الحركة الإرهابية جاؤوا من خلفيات تثير الدهشة. في الواقع، الفقر واليأس غير مرتبطين البتة بالمؤسسين الأثرياء والمثقفين مثل ابن لادن أو بالعديد من إرهابيي الصف الأول، بما في ذلك خاطفو الطائرات في 9/11 أو مفجّرو القطارات في 7 تموز في لندن.

على كلا طرفي المعادلة؛ كان قادة في الولايات المتحدة، وأوروبة، والشرق في كل دين (بما فيها الإسلام)؛ وفي الحكومة والأعمال والتعليم قد قرنوا الإرهاب بالفقر واليأس. تقول النظرية: إنه عندما لا تتحقق آمال وأحلام الشبان بالكسب المادي، يتحولون إلى العنف. عندما لا يتبقى شيء يعيشون من أجله -وربما حتى لا يستطيعون جني المال لعائلاتهم، أو يطمحون ببعض مكافآت الخلود- يفجّرون أنفسهم، ويقدمون التضحية النهائية. وكان علماء إلى اليسار قد قالوا: إن الولايات المتحدة «لا يمكنها السماح بعد الآن بسقوط الدول». وكان رؤساء إلى اليمين، مثل جورج دبليو. بوش، قد قالوا: «نحارب الفقر؛ لأن الأمل رد على الإرهاب».

يبدو ذلك منطقياً تماماً. لكن في حين الدراسات حول الإرهاب محدودة، لا يبدو أن الدليل التجريبي يثبت أن الفقر أو اليأس الاقتصادي وحدهما يدفعان الناس لوضع متفجرات حول أجسادهم ورمي أنفسهم على أهداف غربية. إن كان هناك شيء، فسيكون العكس. عندما كانت «إسرائيل» تدمر منازل الاستشهاديين، كان المثير للاهتمام أن لديهم منازل. ربما يكون الفقراء ومحدودو الثقافة أكثر ذكاءً من أن يفجّروا أنفسهم من أجل ذلك السبب.

في دراسة سنة 1980 عن الإسلاميين المحتجزين في السجون المصرية، وجد الباحث سعدالدين إبراهيم أن المذنب النموذجي رجل في بداية العشرين من العمر، من عائلة عادية متماسكة من الريف أو بلدة صغيرة؛ تلقى تعليماً في العلوم أو الهندسة؛ كان يحدوه أمل وحافز بتحقيق إنجاز كبير. ليس فقيراً ويائساً، وإنما متعلمٌ وطموحٌ.

في سنة 2002، قارن الأستاذان آلان كروغر وجيتكا ماليكوفا 129 مقاتلاً في حزب الله كانوا قد لقوا حتفهم في الثمانينيات وبداية التسعينيات بجيرانهم من السكان اللبنانيين. بالرغم من أن نسبة الفقراء بين مقاتلي حزب الله بلغت 28 %، إلا أن المعدل العام كان أعلى وبلغ 33 %. وفي حين ذهب 47 % من المقاتلين إلى مدرسة ثانوية، كان 38 % فقط من السكان المحيطين بهم قد فعلوا ذلك.

على نحو مشابه، في دراسة سنة 2003 عن الاستشهاديين في «إسرائيل»، تم التوصل إلى نتيجة مفادها أن نسبة مجيء هؤلاء من عائلات فقيرة أقل من نصف المعدل العام. وكان أكثر من نصف الاستشهاديين قد تلقوا تعليماً أكثر من المدرسة الثانوية، مقارنة بأقل من 15 % من الفلسطينيين بوجه عام في المجموعة العمرية نفسها.

يناسب الوصف ذاته خاطفي الطائرات في 9/11 – ومن ساندهم. جاؤوا من عائلات الطبقة الوسطى وخلفيات عالية المستوى في العلوم والهندسة. أسامة بن لادن نفسه مهندس مدني، وثري للغاية.

obeikandl.com

في دراسة سنة 2004 عن 400 إرهابي عالمي، بما في ذلك مجرمو 9/11، وجد عالم النفس وعميل وكالة الاستخبارات الأمريكية السابق مارك سيغمان أن ثلاثة أرباع الإرهابيين جاؤوا من طبقة عليا أو متوسطة. جاء 9 من كل 10 من عائلات محبة، ومتماسكة. كان نحو الثلثين قد ذهبوا إلى الجامعة (مقارنة بزهاء 5 أو 6 % من السكان يذهبون إلى الجامعة في بلدانهم). كان ثلاثة أرباعهم مختصين أو شبه مختصين، على الأغلب في العلوم أو الهندسة. كان نحو ثلاثة أرباعهم متزوجين، والأغلبية العظمى منهم لديهم أولاد. يعاني 5 من الـ400 من اضطراب في الشخصية. يعرف هؤلاء الرجال ثلاثاً إلى ست لغات، بما في ذلك حفنة من اللغات الغربية. كما كان أحد المؤرخين قد لاحظ متهكماً أن جذور الإرهاب هي «المال، والتعليم، والامتيازات».

توصل سيغمان إلى نتيجة مفادها أن ما دفع هؤلاء الرجال الأذكياء الـ400 إلى الإرهاب كان شبكاتهم الاجتماعية؛ لأنهم كانوا لامعين جداً، تم إرسالهم إلى الخارج للدراسة – وحالما أصبحوا ما وراء البحار، شعروا بالوحدة والعزلة. تجمّعوا لتناول الطعام وممارسة أنشطة اجتماعية في المساجد، فحوّلهم هناك قادة متطرفون إلى العنف. كان علماء آخرون قد قالوا: إنه إضافة إلى الشبكات الاجتماعية، كان الإرهابيون متحفّزين في قضايا الهوية والكبرياء الجوهرية – سواء على الصعيد الشخصي أو الوطني. امتلك الاستشهاديون الثروة والعلم، لكنهم شعروا بأنهم معزولون، مثل أثرياء جدد تنفر منهم الطبقة الأرستقراطية. أو أنهم شعروا بالاضطهاد الثقافي؛ نظراً لتراجع الإسلام عن مكانته العالمية البارزة. بعيداً عن الخرافات التقليدية، الإرهابيون ليسوا بحاجة لمساعدة مادية للعيش. لقد خرجوا لتغيير العالم بالقوة.

كان المستشار في وزارة الخارجية ديفيد كيلكولن قد رسم سلماً لارتقاء الإرهابيين الإسلاميين المحتملين. عند القاعدة، هناك الأغلبية العظمى من «المسلمين العاديين» – أولئك الذين يمكن جذبهم إلى الإرهاب أو التحالف ضده، العامة التي يمكن معالجة المظالم التي تقع عليها بإجراء إصلاحات سياسية. فوقهم مجموعة صغيرة، دعاها «مسلمين يكرهون ما آلت إليه أوضاعهم». أولئك أشخاص كانوا قد تخلوا عن الإصلاح،

ومستعدون للانضمام إلى المتطرفين. لإقناعهم بعدم فعل ذلك - كما يقول - ينبغي أن نسعى لتحقيق تحول في طريقة التفكير، على نحو مشابه للطريقة التي يتم بها إبعاد الشبان في هذا البلد عن العصابات. لكن فوق تلك المجموعة، وفي أعلى السلم، هناك عدد قليل لا يمكن إقناعهم أو إكراههم على تغيير ما يفكرون فيه. إنهم الأشخاص الذين ينبغي أن نخاف منهم. لكن عندما تنقّب بعمق أكبر عن السبب الذي دفعهم إلى ما هم عليه، تصبح الصورة مثيرة للدهشة. تبين أن جنود الإرهاب هم بين الأفضل تعليماً واكتفاءً ذاتياً في العالم.

أهمية تقويم إرهابيي اليوم، بالطبع، كبيرة. بالمحصلة، كان الافتقار إلى المعلومات الاستخباراتية الصحيحة عقب أخيل الأكثر خطورة بالنسبة لأمريكة. وحتى الآن، من غير الواضح ما إذا كان ما فعلته أمريكة لهزيمة الإرهاب فعّالاً أم أنه ساعدهم في الحصول على المزيد من المتطوعين. تعتمد الإستراتيجية الصحيحة في محاربة الإرهاب كثيراً على تحديد هوية الإرهابيين الحقيقيين وأولئك الذين يسلكون ذلك الطريق.

بالرغم من أن الإرهاب النموذجي قد لا يكون باتي هيرست، لكن تبين أنه ربما يكون (أو تكون) يجلس بجوارك في مكتبة، أو في محل ستاربكس، أو في سكن جامعتك. الإرهابيون عاقدو العزم؛ لأنهم يؤمنون بما يقومون به، وأساليبهم متقنة ومتطورة.

لن يتم إلحاق الهزيمة بحركة الإرهاب المركزية في القرن الحادي والعشرين، بخلاف الشيوعية، باستعمال الغسّالات. إضافة إلى كل الجهود العسكرية والاجتماعية، سيتطلب الأمر ترابطاً فكرياً ودينياً قوياً - ربما حركة بين الأديان مخصصة لتحديد الدرب الصحيح إلى الله يمكنها إعادة معتنقي الإرهاب فكرياً إلى جادة الصواب، مثلما تستطيع العمليات العسكرية إيجاد وتدمير معتنقيه عسكرياً. يمكن العثور على أقوى المجنّدين الذين يمكن للحركة الحصول عليهم -مثلاً، أعضاء الخلية التي كانت خلف تفجير قطارات بريطانية في 7 تموز- في مدارس جيدة وعلى الإنترنت وليس في أحياء فقيرة. إنهم جزء من حركة حالمة تجد لها مبرراً في عقيدة دينية، وسنحتاج إلى مضاعفة جهودنا لهز الأسس الفكرية لتلك الحركة ووقف تدفق هؤلاء المجنّدين. الإرهابي المثقف

ليس لقمة سائغة - يدل الحضور المستمر لإرهابيين متعلمين على قوة الأفكار المغلوطة التي يمكن أن تعصف بأذهان شبان سريعي التأثر، ويدل على الحاجة لتقوية جهودنا من أجل الفوز بحرب الأفكار تلك.

obeikandl.com

الخاتمة

عندما حاول الفلاسفة الإغريق أول مرة تفسير التغير الطبيعي في العالم، لم يتوصلوا إلى نتيجة قاطعة حتى اقترح ديمقراط (ديمقراطيس) نحو سنة 460 قبل الميلاد نظرية أن العالم مكوّن من ذرّات - أجسام صغيرة لكن منفصلة، والذي يحدد مزيجها حالة المادة وصفتها. عارض الكثيرون؛ وحتى أرسطو كان منتقده الرئيس. لكن بمرور الوقت، ثبت أن ديمقراط محق. في الواقع، تبين أن أكثر المواد صلابة تتكون من مليارات الذّرات غير المرئية التي تحدد شكلها.

كما يعرف أي طالب ثانوي، غيّر مزيج الذّرات قليلاً فقط، وستحصل على تأثيرات مذهلة في قوة الفولاذ ولمعان الماس أو إشعاعية اليورانيوم المخصّب. يعكس هذا التناظر الجزيئي نظرية نزعات مجهرية الأساسية -ثقافتنا اليوم هي على نحو متزايد نتاج ما كنت قد حدّدته بذرّات مجتمعية- نزعات صغيرة تعكس تغير العادات والخيارات. غالباً ما يكون تحديدها صعباً، لكني حاولت تقديم نوع من الجدول الدوري للنزعات في الموضوعات الرئيسة للحياة اليومية. ستؤدي تغييرات بسيطة للغاية في مزيج الذرات الثقافية إلى حدوث تغييرات كبيرة في شكل كوكبنا وشكل مجتمعنا.

يطلق معظم الناس اليوم أحكاماً كما فعل أرسطو من قبل - ينظرون تاريخياً إلى أحداث من وجهة نظرهم. لكن بخلاف أرسطو، غالباً ما يدّعون رؤية الغابة دون أن يختبروا حقاً وجود الأشجار. وخاصة في عالم اليوم الذي تتسارع فيه الأحداث، يطلقون على نحو متزايد أحكاماً تستند إلى وجهة نظرهم في العالم وليس إلى حقائق ثابتة، التي يعدون أن من الصعب تحديدها. الحقيقة البسيطة هي أنه في معظم الوقت لا يمكننا أن نرى الأنماط الحقيقية لحياة الناس، ما عدا عبر الإحصائيات، وندّعي بالرغم من ذلك أننا نفهمها بناءً على وجهة نظرنا المحدودة. ما يحدث حينها أن الحكمة التقليدية تكون متشددة للغاية وخاطئة تماماً.

كنت قد اكتشفت بمرور السنين أن هناك غالباً انفصالاً كاملاً بين الاعتقاد بشأن الاقتصاد وحالة العلاقات الاقتصادية الحقيقية. حتى يتم نشر الإحصائيات، ينحو الناس لتقويم الاقتصاد على نحو أساسي عبر عيون وسائل الإعلام القومية. في سنة 1992، عندما فاز بيل كلينتون بالرئاسة بناءً على مخاوف بشأن الاقتصاد، أظهرت الإحصائيات التي جاءت بعد الانتخابات أن المدة لغاية تشرين الأول شهدت في الواقع نمواً قياسياً. كانت المواقف سلبية للغاية في وقت كان فيه الاقتصاد في الواقع يشهد تحسناً كبيراً.

في سنة 1995، عندما كنت أعمل مع الرئيس كلينتون، ظهر بات بوكانين على صدر تايم Time ونيوزويك Newsweek يصرخ بأفكار أن الاقتصاد يدخل عنق الزجاجة وأنه ليست هناك وظائف جيدة جديدة. كنا نصبح أمة مهوّسة بالهمبرغر، كما قال لصحفيين أحنوا رؤوسهم موافقين على ذلك. طلبت من كبير مستشاري المجلس الاقتصادي في البيت الأبيض النظر في الأمر، ووجد أن الناس يحصلون فعلاً على وظائف في اقتصاد جيد، يقوده قطاع البرمجيات. في خطاب حالة الاتحاد سنة 1996، قال الرئيس كلينتون: إن لدينا أفضل اقتصاد منذ ثلاثين سنة - جملة جعلت عدداً من المراسلين يسارعون للتأكد من الإحصائيات الحقيقية بدلاً من الإصغاء إلى ما تقوله حركات سياسية شعبية، وبيانات كثيرة تحفّزها السياسة. كلما نظر الناس إلى الحقائق أكثر، زادت موافقتهم على ذلك، وبعد ستة شهور، كان هناك شبه إجماع على أن الاقتصاد في حالة جيدة. هل تغير الاقتصاد؟ لا، ما تغير كان المعرفة بشأن الحقائق الاقتصادية الصحيحة. عندما نظر الناس إلى الأشجار الحقيقية، تغيرت نظرتهم للغابة.

تعلمت من ذلك أن شخصاً عادياً لا يمكنه تحديد الفرق بين نسبتي بطالة 4 % و8%. إذا كان لديك 100 صديق، منهم من يعمل ومنهم من لا يعمل، فلا يمكنك أن تحدد بدقة إن كان الاقتصاد ينمو أم لا. إذا كان عشرون منهم عاطلين عن العمل، يمكنك ذلك؛ بكلمات أخرى، يمكنك أن ترى مباشرة وبسهولة الكوارث والكساد عن كثب. لكن لا يمكنك رؤية التغييرات في المدى الطبيعي لمعظم الإحصائيات. لا يمكنك حقاً رؤية الفرق بين ازدهار أو ركود اقتصادي، والذي سيكون فرقاً في نسبة البطالة بين 4 و8 %.

بالنسبة لمعظم الموضوعات، يعتمد الناس على مزيج من البرامج الإخبارية والمواقع الإلكترونية والمجلات والمحطات الإذاعية والحديث مع أصدقاء ورأيهم الخاص. ونظراً

لأن معظم هذه المصادر تقريباً غير علمية، ينتهي الأمر بمعظم الناس إلى تبني أفكار خاطئة عما يجري من حولهم. إنهم يتأثرون بما يبدو صحيحاً، وبما يرغبون في رؤيته. نادراً ما يقضون وقتاً في النظر إلى الحقائق المجردة الباردة لما يحدث حقاً.

أدعوك للشروع في متابعة نزعة من اختيارك على www.microtrending.com. كنت قد زوّدتك بميزة تنافسية مع خمس وسبعين نزعة في هذا الكتاب، ولا شك أنك قد لاحظت عدّة نزعات في محيطك في أثناء قراءتك له، واستحضرت في مخيلتك عدّة نزعات كنت قد رأيتها سابقاً. في هذا الكتاب، كنت قد حاولت التأكيد على أنه عبرالتركيز على الحقائق والأرقام، يمكنك رؤية عالم موازٍ تقريباً - مخفي عادة، وبالرغم من ذلك يحدّق في وجوهنا. كان كل شيء تقريباً في هذا الكتاب قد جاء من مصادر متوافرة للعامة؛ وكل شيء موجود لكل من يريد النظر إليه. وتدل نظرة على الأرقام إلى أنه ينبغي على المزيد من الناس النظر إلى الأرقام أكثر. إنها حجر الزاوية لفهم التغييرات في المجتمع. ربما استطاع ألكسيس دو توكفيه أن يفهمنا من أول نظرة عندما كانت أمريكة صغيرة ويافعة، لكن ربما لا يستطيع اليوم إرسال برقيات تحتوي معلومات صحيحة إلى بلده.

نمر بتغييرات عميقة بطرق متناقضة - مجتمع يصبح أفراده أكبر عمراً، لكنهم بالرغم من ذلك يعملون مدة أطول؛ مجتمع يكافح ليكون أكثر صحة، وبالرغم من ذلك لم تصل معدلات البدانة أو استهلاك الكافيين إلى أعلى مما هي عليه الآن؛ مجتمع يناقش على نحو متزايد أسلوب السياسي وشخصيته، بالرغم من أنه أكثر ثقافة مما كان عليه سابقاً.

ويمر العالم نفسه ببعض التغييرات المثيرة: في حين يصبح العلم أكثر أهمية، يزداد الاهتمام بالدين؛ بينما تزداد الحرية الاقتصادية والرأسمالية، تتراجع الديمقراطية وحقوق الإنسان؛ وتشهد مجتمعات تشجع كثيراً إنجاب الأطفال تراجعاً حاداً في عدد السكان.

obeikandi.com

يتم وضع القوانين الجديدة للنزعات تحت المجهر؛ لأن لكل نزعة، نزعة مضادة. مقابل كل دفعة نحو الحداثة، هناك جهد للمحافظة على القيم القديمة. مقابل كل مهوّس بالإنترنت، هناك أولئك الذين يحبون الحياكة والتماس الطمأنينة والهدوء. مقابل كل اندفاع للحصول على معلومات فورية، هناك أشخاص يريدونها طويلة، وتفصيلية، وتتطلب تفكيراً كبيراً. مقابل كل موجة من المنازل دون أطفال، هناك موجة من المنازل مع حيوانات أليفة.

تعكس نزعات مجهرية اندفاع الإنسان نحو الفردية، في حين تسعى الحكمة التقليدية غالباً إلى دفع المجتمع نحو القاسم المشترك الأصغر. كما قلت في المقدمة، كنا قد رأينا أن اقتصاد فورد الأصلي يفسح المجال لاقتصاد ستاربكس - تعدد الخيارات بوصفها وسيلة للتعبير عن الذات وإرضاء النفس.

بعض النزعات كبيرة وواضحة، وتؤثر على معظمنا. لكن شيئاً فشيئاً، ما يشكّل العالم هو سلسلة من الرغبات القوية والقوى المخفية التي تعمل تحت السطح. وفي تلك القوى بذور تغييرات غير متوقعة. إنها تفسر عدم تراجع الحروب والنزعات؛ صعوبة السيطرة على الحرية الاقتصادية؛ ولماذا نرى فجأة قبولاً لأنماط حياة وزواج لم تكن مقبولة آلاف السنين.

تبدأ الحركات من قبل مجموعات صغيرة من أشخاص متفانين، شديدي الاهتمام بها. لهذا السبب نموذج منظمة القاعدة، والتركيز على عدد المرتدّين عن الإرهاب، عامل جوهري. الحركات الفائزة ليست بالضرورة حركات الأغلبية، لكنها تلك التي لديها قوة محركة خلفها. يمكن لعشرة أشخاص مع مدافع مضادة للدروع التغلب على 1000 شخص يحملون أوتاداً، لكنهم لا يستطيعون التغلب على 10.000 يحملون أوتاداً. هذا هو سحر عتبة 1 %، وإمكانية أن تصبح نزعة مجهرية محور تغيير العالم.

كانت العديد من النزعات التي أوردتها في هذا الكتاب ممتعة - لكن كلها تقريباً لها جانب مهم. ربما يكون لـ«محبة السامية» جانب ممتع، مع دعابات إثنية عن العثور على زوج ماهر في إبداء الملاحظات، لكنها تمثّل أيضاً انهيار حواجز بقيت صامدة آلاف السنين. ربما تدفع حيوانات أليفة تحل مكان الأطفال مبيعات الأدوات المخصصة للكلاب

إلى مستويات قياسية، لكنها ستغير أيضاً مواقف الناس نحو الحيوانات وطريقة معاملتها. ربما يبدو «كارهو الشمس» سخيفين بقمصان كاملة على الشاطئ، لكنهم ربما يعيدون تشكيل سياسة الاستجمام والبيئة لدينا. إذا أصبح الناس أطباء أنفسهم، فلن يذهب الكثير منهم إلى أطباء حقيقيين، وسنخسر أرواحاً كثيرة عندما يسيء هؤلاء تشخيص حالاتهم.

هل يشير اهتمام الشبان بأنشطة مثل الحياكة إلى عودة إلى بعض الأساسيات - يحظى الناس بفرصة لصنع شيء بأيديهم؟ أم أن اهتمامهم بأن يصبحوا قنّاصين سيقود إلى المزيد من الأعمال الإجرامية الجبانة؟ أم أن ذلك سيغير نظرتنا للحرب ككل؟

والواضح، مع تجار المدرسة الثانوية من جانب ومتقاعدين عاملين من جانب آخر، أن الناس يتطلعون للعمل أكثر على كلا طرفي حياتهم – مع كل الكلام عن أهمية الوقت مع العائلة والأولاد، يسعى الأمريكيون للبقاء وقتاً أطول في العمل وأقل مع العائلة. من هنا جاء ازدياد عدد الأسر التي تتألف من شخص واحد.

على الرغم من أن هناك موجة من الاهتمام بالدين، إلا أن الناس حول العالم ينجذبون نحو كنائس أصغر وشيع جديدة من الدين. تحاول بعض الأديان القديمة تحديث نفسها، وإصلاح تعاليمها وإدخال نساء إلى هيئة مبشّريها. تحافظ أخرى بقوة على التقاليد. ربما لا نرى في مكان آخر تناقضاً في النزعات المجهرية كما نراه في الحركات الدينية اليوم. لكن هذا يدل على أن ما نراه الآن سينمو على الأرجح - سيكون المزيد والمزيد من الناس معتنقين بالاسم أحد الأديان، وفي الوقت نفسه، سيزداد الأتباع ورعاً ونفوذاً. ينبغي أن نكون حذرين في مراقبة نمو المعتقدات الغريبة، ونحافظ في الوقت نفسه على الفصل بين الدين والدولة.

وفي السياسة، نرى على نحو متزايد كيف أن الحزبين الديمقراطي والجمهوري يتألفان من تحالفات هشّة يصبح أعضاؤها أكثر تشدداً وتصلباً في مواقفهم. على الجانب الجمهوري، يبدي اليمين النصراني، ورجال الأعمال الذين يطالبون بخفض الضرائب، والمستقلون المناهضون للحكومة، والرجال الوطنيون توترهم؛ لأن التحالف

الفضفاض الذي كان يشكل حزبهم يتهاوى. وعلى الجانب الديمقراطي، ينبغي على التحالف التاريخي بين أعضاء الاتحادات، والأقليات، والنساء، والمعتدلين وضع أولويات وتقنيات جديدة بالكامل للحركة التحررية المعاصرة.

وهكذا، هناك حديث عن ظهور مرشح حزب ثالث ورابع وخامس. يشير النموذج الحالي إلى أنها مسألة وقت فقط قبل أن ينفرط عقد حزب أو آخر، وسيشكل ذلك تغييراً هائلاً في السياسة الأمريكية. ابتداءً من ربيع 2007، عمل الحزب الديمقراطي بنشاط وأظهر وحدة أكبر. يخسر الحزب الجمهوري، من جانب آخر، أعضاءه وربما هويته، وقد يكون أكثر نضجاً للتفتت.

في مسألة بالغة الأهمية بعد أخرى، نرى إمكانية لتقسيم أكبر، وتأثير النزعات المجهرية في تسريع ذلك التقسيم. نشاهد مجموعات تعبر عن شخصيتها بطرق جديدة، وتزيد من ضغطها على الدين والسياسة والثقافة العامة وبنية الأسرة.

الجانب الآخر من تفكك المجتمع هذا هو ازدياد التسامح. إذا أصبحت الخيارات الشخصية مهمة أكثر، فأكثر للناس فستصبح حقوق الأقلية مهمة للتعبير عن تلك الاختلافات. أظن أننا نرى تسامحاً جديداً الآن بشأن أنماط حياة مختلفة، بما في ذلك القبول السريع لنمط حياة المثليين. على الرغم من أن زواج المثليين بوصفه سياسة فشل في العديد من الولايات، إلا أن التمييز في المعاملة مع المثليين والسود واللاتين والنساء لم يعد لها وجود – وتعليق مهين واحد مثل ذلك الذي أدلى به عضو مجلس النواب عن فيرجينيا جورج آلان، أو الممثل السابق في سينفيلد Seinfeld مايكل ريتشارد، أو الممثل الهزلي دون إيموس قد ينهي حياة المرء المهنية.

إذا أصبح الزواج عبر الإنترنت عادياً، فستخرج الطرق القديمة التي تعتمد الدين والجوار والعرق والنادي الريفي من النافذة. تظهر نتائج انهيار الحواجز، وحرية الاختيار المتزايدة، الآن في قلب كل خيارات الحياة الرئيسة للناس.

لكن الفكرة المركزية لهذا الكتاب هي أن المجتمع يتغير بطرق لا يقدّرها أو يفهمها سوى القليل من الناس. بالتركيز فقط على نزعات رئيسة تصل إلى«حدها الأقصى»،

يغفل جُل المراقبين عن حقيقة أنه لا ينبغي بالنزعة الوصول إلى ذلك الحد لتكون ناجحة ولها تأثير كبير على المجتمع.

أكثر من 600.000 مجرم يخرجون من السجن كل سنة بمعدل يفوق ثلاثة أضعاف ما كان عليه الأمر قبل عشرين سنة فقط. إن لم نفعل شيئاً مختلفاً تماماً لهؤلاء السجناء الذين يتم إطلاق سراحهم، فسيزداد معدل الجريمة، وسيعاني مجتمعنا نتيجة ذلك.

يستعرض المهاجرون الذين كانوا يختبئون في الظل عضلات قوتهم السياسية بالتأثير على ملايين المهاجرين الشرعيين الذين يصوّتون ويقطنون في ولايات متأرجحة رئيسة. إن لم يتم معالجة مسألة هجرتهم وقضايا محلية رئيسة أخرى، فسيؤدون دوراً محوريا -وربما حاسماً- في السياسة، وقد يحددون من سيكون رئيسنا المقبل.

إذا ذهبت عدّة ملايين أخرى من الأمريكيين إلى القطاع غير الربحي، وأعلنوا أن حياتهم لا تتعلق بالأموال التي يمكن أن يكسبوها وإنما بالأشياء الجيدة التي يقومون بها، فسيكون لذلك دور مهم في تغيير نموذج النجاح في هذا البلد.

وتدل العديد من النزعات العالمية التي سلّطت الضوء عليها أنه ليس هناك مجتمع منيع من خيارات جديدة يقدم عليها الناس. يغير رجال الأعمال في فيتنام والفنانون في الصين شخصية وصورة هذين البلدين. سواء كانت عبر اقتصاد متجدد أو تعبير فني، تؤثر نزعات مجهرية على نحو كبير على الجميع في هذين المجتمعين؛ لأن المزيد من الناس يسعون لزيادة مساحة التعبير سواء بهذين الشكلين أو طرق مبتكرة أخرى.

كان بعضهم قد جادل أن ازدياد الخيارات في كل من المنتجات والهوية محيّر ومدهش – ويثير حتى الاكتئاب. كان مالكولم غليدويل قد أوضح في كتابه طرفة عين Blink وباري شوارتز في مفارقة الخيار Paradox of Choice، أن وجود أربعة وعشرين نوعاً من المربّى سيجذب المتسوقين إليه، لكن وجود ستة أنواع من المربّى سيدفع في الواقع المبيعات للارتفاع. إن وجود الكثير من الخيارات يزيد من الشعور بالضغط، والعبء، والأسف. سنتخلى عملياً عن شراء مربّى بدلاً من النظر إلى الخلف والخوف من أن نكون

قد اخترنا الصنف الخطأ. ربما لن نطوّر أنفسنا لنكون شخصيات مستقلة؛ خوفاً من اختبار خيبة الأمل؛ لأننا لسنا كاملين (بالتأكيد).

ربما. لكن بصراحة، كان ذلك القطار قد غادر المحطة. لن تتوقف ستاربكس عن تزويدنا باثنين وأربعين صنفاً من القهوة، وخمسة أصناف من الحليب، وستة عشر صنفاً من محسّنات النكهة، وتسعة أنواع من مواد التحلية – ولن يرغم العالم الناس على العودة إلى وضع أدوار مهنية، أو روحية محددة سلفاً. لهذا بالرغم من أنه من الذكاء تعلم إدارة الخيارات إذا أصبحت كثيرة، القصد هو أنه، في عالم اليوم، إمكانية تحقيق الرضا عن الذات؛ نظراً للخيارات الفردية والحرية المتوافرة في أعلى مستوى لها.

كان مراقبون آخرون لازدياد الخيارات والتخصص قد جادلوا بأن الازدهار يهدد التماسك المجتمعي. إذا كان كل شيء متعلقاً بالهوية الذاتية -من الجنس إلى الدين إلى التوقعات بشأن الزواج- عندها ربما لا يكون هناك وحدة ومجتمع وأمريكة موحدة وإنسان عالمي.

حسناً، ربما لم تكن هناك وحدة قومية شديدة التماسك سابقاً وفقاً لما يتذكره علماء الأساطير. هذه أمة لطالما كانت تتكلم مئات اللغات. هذه أمة خاضت حرباً أهلية لاستعباد ثلث شعبها. بالفعل، أشهر الوثائق الاتحادية، حجر الزاوية الفكري في تأسيس أمريكة، هي بحث جيمس ماديسون عن «الفصيل»، الذي يصف حتمية (وإنتاجية) وجود مجموعات ذات اهتمامات خاصة ومتنافسة فيما بينها في أمريكة.

لا، المختلف الآن ليس أن فصائل المجتمع أضحت أكثر عدداً، وإنما أنها منقسمة وفقاً لمجموعات من الخيارات الشخصية بدلاً من الظروف، مثل العرق – أو الثروة، مثل امتلاك الأراضي. نحن على الأقل منقسمون بشدة مثل أي ديمقراطية صحية، لكن وفقاً لمعايير جديدة تتعلق بالخيارات. وبالرغم من ذلك، إن كان من نتيجة لذلك، لدينا الآن جاليات أكثر. الآن، تستطيع 1 مليون عائلة ترغب في تعليم أولادها في المنزل العثور على حلفاء يشاطرونها الرأي والموارد على الإنترنت – بدلاً من أن تشعر بأنها معزولة، غير مستعدة لذلك، أو تتراجع عن أولوياتها. الآن، يستطيع 2 مليون شخص يدركون في وقت

متأخر من حياتهم أنهم شواذ العيش علانية مع تلك الحقيقة - يجدون وعائلاتهم دعماً من مجتمعات إلكترونية في كل أنحاء البلاد والعالم.

لهذا فيما قد يعدّ بعضهم إن القول بأن انقسام مجتمعات القرن الحادي والعشرين مثل أو أكثر من مجتمعات سبقتها متشائم، أظن من جهتي أنها أنباء سارة.

بالتأكيد، في أرض تتغير فيها الخيارات الشخصية بسرعة ويتم التعبير عنها بقوة كبيرة، سيكون صعباً على ديمقراطيات، سواء كانت ناشئة أو قديمة مثل الولايات المتحدة، أن تدير كل التداخلات المتشابكة بشأن القيم الخاصة والموارد العامة. لن تكون هناك حلول قومية بسيطة، والسياسيون الذين يحاولون أن يقولوا لك: إنها موجودة يخدعونك و/أو يخدعون أنفسهم. العالم يصبح بالفعل أكثر تعقيداً واختلافاً، بمعايير الطرق التي يوزع بها الناس مواردهم - مثل المال، والوقت، والطاقة، والتصويت، والحب.

لكن اتساع الخيارات الشخصية سيجعل أيضاً نجاح حكم الفرد الواحد، القديم والجديد، مستحيلاً. تفسح الصين المجال للأسواق الرأسمالية والفنانين؛ لأنه حالما تتكشف له معلومات باقي العالم، لن يوقف شعبها الذي يبلغ تعداده مليار نسمة أي شيء. تفسح الهند المجال لعمل النساء؛ لأنها حالما عرفت قوة إسهامهن، لم تعد ترغب في العودة إلى الوراء. ربما سيشكل الإسلام الأصولي مفارقة، وفقاً لطريقة تطوره في السنوات القليلة القادمة. بطرق متعددة، إنه ضحية تعدّد الجماعات ضمنه التي تدّعي أنها تمثل الدين الصحيح بشيوخها وفتواهم. بطرق أخرى، يبدو أنه يحاول إحياء الطقوس الدينية وكبت الخيارات الشخصية بوصفها طريقة أسمى في الحياة. إنها نزعة بارزة، وازدهارها رهن ربما بازدهار كل النزعات المعاصرة. يعرف المتطرفون ذلك، ولهذا السبب كانوا قد حصّنوا أنفسهم ضد تلك النزعات، ووصفوها حتى بالشريرة. كان العالم قد شهد تكراراً حقباً حالكة بعد حقب تقدم، من سقوط روما إلى العصور الوسطى؛ لأنه فشل في الاستعداد كما ينبغي لنزعة نمت من بذرة صغيرة. يكمن ضعف عالم تحركه الخيارات الشخصية في أن تنظيم الخيار الجماعي يصبح أكثر صعوبة؛ لأن مجموعات صغيرة تعارض ذلك الإجراء قد تصبح أكثر قوة. من ناحية، ينبغي أن يؤدي

ذلك التأثير إلى التخفيف من فرص اندلاع الحروب؛ ومن ناحية أخرى، يصبح القيام بعمل جماعي ضد أعداء أكثر صعوبة.

لهذا ربما تجد ديمقراطيات المستقبل صعوبة في الحفاظ على تحالفات مستقرة، وستجد أن التحالف على أساس القضية ونمط العيش (مثلاً، نشطاء ضد الحرب، أو أمهات عازبات) ستحل على الأرجح محل سياسات الماضي المتماثلة. سترتكز المزيد من الأفعال على تحالفات 51 % بدلاً من رأي عام موحد على نطاق واسع؛ لأن الخيار الشخصي ينحو لسحب الناس في اتجاه معاكس ويجعل تجميع الناس صعباً للغاية. لكن هذا يعني أيضاً أن توحيد الناس خلف أنظمة ديكتاتورية جديدة سيكون صعباً. كلما تجاهل ذلك النوع من الأنظمة قوة النزعة المجهرية، وجد نفسه يواجه متاعبَ مع مواطنيه.

ستصبح النزعات المجهرية الوسائل المهيمنة في الإعلان والتسويق، وتحل مكان الطرق القديمة المتمثّلة في الإذاعة والتلفاز. لهذا السبب ارتفعت مبيعات شركات إعلان الإنترنت حالياً – سيكون الإعلان والتسويق على نحو متزايد على أساس شخصي. سيتم شخصنة كل وسيلة اتصال ممكنة، وسيقود هذا إلى توسع كبير في صناعة الاتصالات الشخصية التي ستكون مهمتها الإعلان عن المنتجات الصحيحة للأشخاص المناسبين. تصبح شركات الإنترنت الكبيرة مخازن لمعلومات شخصية يمكن استعمالها لتنظيم حملات تسويق المستقبل.

يصل الخيار الشخصي إلى أعلى مستوياته في الحياة الاجتماعية، والمزيد من الخيارات تعني المزيد من المواعدة وطيفاً واسعاً من الأزواج المحتملين. لم يسجل التاريخ من قبل أن الفرد استطاع الخروج بمثل هذه السهولة من دائرته/دائرتها الاجتماعية للعثور على أزواج محتملين. يمتلك مزيج العلاقات العاطفية في العمل وعلى شبكة الإنترنت الفرصة لتحطيم أي نظام طبقات، وإنشاء شكل جديد من مؤسسة الزواج.

والأنماط الأوسع من الخيارات واضحة: المزيد من العمل؛ والمزيد من الرضا الذاتي؛ ووحدات عائلية جديدة؛ وحرية اجتماعية، واقتصادية، وبدنية أكبر، ودوائر أوسع من الأصدقاء والمعارف؛ وانخراط أكبر في المجتمع.

سيكون الجيل المقبل من العاملين أفضل تعليماً وأكثر تآلفاً مع التقانة، وبرغم ذلك سيكون إرضاؤهم أكثر صعوبة إلا أن تمت معاملتهم بطرق جديدة تناسب توقعاتهم بخيارات غير محدودة. ينبغي أن يتم استهداف العاملين بدقة منذ اليوم الأول - وتزويدهم بمستشارين مؤهلين، ورسائل تحفيز، وبرامج ولاء معدّلة.

واضح أيضاً أنه في مناطق عديدة أيضاً، ستستمر نزعات متناقضة في إنشاء أسواق جيدة لكلا طرفي الطيف. سيستمر الطعام الصحي موجوداً جنباً إلى جنب مع خيارات شهية المذاق لكنها ليست صحية. سيكون هناك المزيد من الاهتمام بالأولاد بوصفهم محور الحياة إلى جانب تركيز الأسر على الرضا الذاتي. سيزداد التوتر بين الدين والعلمانية مع تبني قطاعات ضخمة لإحدى وجهتي النظر. في حين ستبقى الأمهات مركز الحياة العائلية، إلا أن العلاقات الجديدة التي سيقيمها الأولاد مع الآباء بما في ذلك وجود آباء أكبر سناً وآباء مطلقين ستحظى أخيراً باعتراف في السوق.

عندما نرجع خطوة إلى الوراء، وننظر إلى الثقافة في أمريكة وحول العالم، ستبدو الذرات المجتمعية التي أطلقت عليها اسم نزعات مجهرية تحرك التغييرات في كل مجالات الحياة اليومية تقريباً. ربما ليس هناك الكثير من حالات الزواج عبر الإنترنت بعد، لكنها تغير بنيتنا الاجتماعية بالتأكيد. ربما تكون نسبة الأسوياء جنسياً متقلبة قليلاً، لكنها تؤثر علينا جميعاً. تشكل النُّخب القانعة بأوضاعها في أمريكة، بعيداً عن أي نزاع اقتصادي حقيقي، وجهات نظر وسائل الإعلام في العالم كله. ربما يكون عدد الفنانين في الصين ضئيلاً مقارنة بعدد المهندسين، لكنهم بدؤوا سحب أكبر بلد في العالم باتجاهات جديدة.

خلف كلٍ من تلك النزعات، كما أظن، هناك مستوى من العقلانية تقود ذلك التغيير. ينام الناس وقتاً أقل؛ لأنهم يعملون أكثر. يعامل الذين يعيشون وحدهم الحيوانات الأليفة كأطفال؛ لأنهم يتوقون للأولاد الذين كانوا قد انتقلوا إلى حياتهم الخاصة بهم. يصبح الآباء أكثر تساهلاً؛ لأنهم يعتقدون أن الكلمات أكثر فاعلية من ظاهر اليد. ما يجعل

فكرة نزعات مجهرية تبرز بقوة هو أنه نادراً ما تكون هناك طريقة صحيحة واحدة لفعل الأشياء – وأن أشخاصاً متشابهين يتخذون خيارات مختلفة جداً ويبدؤون نزعتين متناقضتين تماماً. وبرغم ذلك، قد يكون كلا هذين الخيارين منطقياً تماماً. حتى أولئك الذين يختارون درباً غير منطقي البتة –الإرهاب– يظهرون كمن ينتقون خياراتهم بناءً على دراسة متأنية ومعتقدات راسخة. تمثّل نزعة «المزيد من الاهتمام» حركة بعيدة عن قرارات يتم اتخاذها في ثوانٍ ونحو تفكير أكثر عمقاً وتأنياً.

الواضح أن الخمس والسبعين نزعة مجهرية في هذا الكتاب نماذج لآلاف النزعات الموجودة أصلاً، وهناك نزعات جديدة تظهر كل يوم. كان خوف المستقبل الكبير أن تتحول المجتمعات الكبيرة إلى مجتمعات دون هوية، وإرغام الناس على الانسجام مع كل ما يدور حولهم - يبدو الجميع متشابهين، ويرتدون ملابس متشابهة، ويُطلب إليهم التفكير على نحو متشابه. كان ذلك يُعدّ تضحية ضرورية لإطعام وإكساء عدد متزايد من السكان بموارد متناقصة. لكنني أقول: إننا نتحرك في الاتجاه المعاكس تماماً - مستقبل يصبح فيه الخيار، الذي تحدده الأذواق الفردية، عاملاً مهيمناً، والذي تتعزز فيه تلك الخيارات بالقدرة على التواصل والتفاهم مع مجتمعات بالغة الصغر.

نادراً ما يأخذ المستقبل الشكل الذي نتوقعه له. السبب هو أن معظم التوقعات تأتي من الحكمة التقليدية نفسها التي تفرض الإجماع من حولنا، وتستند أساساً إلى ملاحظات كبيرة يمكن رصدها بسهولة مثل مدى الاقتصاد العالمي. لكن عندما تمعن النظر في الأمر، ترى عالماً يزخر بتطورات غير معروفة لا يمكن ملاحظتها بسهولة وتشكل حقاً القوى الصغيرة التي ستحرك تغييرات الغد الكبيرة.

obeikandi.com

المراجع

1- الحب، والجنس، والعلاقات
عُزاب ونسب مرتبطة بالجنس

The Social Organization of Sexuality study was first reported in Edward O. Laumann, John H. Gagnon, Robert T. Michael, and Stuart Michaels, *The Social Organization of Sexuality: Sexual Practices in the United States* (University of Chicago Press, 1994). The third study cited is Samuel S. Janus and Cynthia L. Janus, *The Janus Report on Sexual Behavior* (Wiley, 1994). All three studies are referenced in Paul Varnell, "More Gays than Lesbians," on the Web site the Independent Gay Forum, November 30, 1999, accessed June 2006, at http://www.indegayforum.org/news/show/26996.html.

The data in the graph on the number of unmarried women in America come from U.S. Census, "Marital Status of the Population 15 Years Old and Over, by Sex and Race: 1950 to Present," accessed June 2006, at http://www.census.gov/population/socdemo/hh-fam/msl.csv.

For more on the sex ratio in America, see T. J. Mathews, and B. F. Hamilton, "Trend Analysis of the Sex Ratio at Birth in the United States," *National Vital Statistics Reports*, Vol. 53, No. 20, Hyattsville, MD: National Center for Health Statistics, 2005, accessed at http://www.cdc.gov/nchs/data/nvsr/nvsr53/nvsr53 20.pdf.

The percentage of gay people in America is difficult to measure; see discussion at "Demographics," http://www.glbtq.com/social-sciences/demographics.html. But many studies hover at about 5 percent overall, and polls from Penn, Schoen & Berland Associates (PSB) conducted in recent years regularly yield that percentage.

Data on the gender ratio in the black community come from U.S. Census, "Population by Sex and Age, for Black Alone and White Alone, Not Hispanic: March 2004," U.S. Census Bureau, Current Population Survey, Annual Social and Economic Supplement, 2004, Racial Statistics Branch, Population Division, accessed at http://www.census.gov/population/socdemo/race/black/ppl-186/tabla.pdf and http://www.census.gov/population/socdemo/race/black/ppl-186/tablb.pdf.

Data on the incarceration rates of black males and females come from Paige M. Harrison and Allen J. Beck, Ph.D., "Prison and Jail Inmates at Midyear 2005," *Bureau of Justice Statistics Bulletin*, May 2006, NCJ 213133, accessed at http://www.ojp.usdoj.gov/bjs/pub/pdf/pjim05.pdf.

For information on average life expectancy, see E. Arias, "United States Life Tables, 2003," *National Vital Statistics Reports*, Vol. 54, No. 14, Hyattsville, MD: National Center for Health Statistics, 2006, accessed at http://www.cdc.gov/nchs/data/nvsr/nvsr54/nvsr54 14.pdf.

The National Association of Realtors data on single women purchasing homes was cited in David Calvert, "Dream House, Sans Spouse: More Women Buy Homes," *USA Today*, February 14, 2006.

The data on the rise in Single Mothers by Choice come from Amy Harmon, "More Single Women Become Mothers by Choice," *New York Times*, December 29, 2005.

For information on degrees conferred by sex, see "Bachelor's, Master's, and Doctor's Degrees Conferred by Degree-Granting Institutions, by Sex of Student and Field of Study: 2002–03," National Center for Education Statistics, accessed at http://nces.ed.gov/programs/digest/d04/lt3.asp.

لبوات: نساء يواعدن رجالاً أصغر سناً

The data on dating habits of women aged 40–69 come from a study conducted by Knowledge Networks, Inc., for the AARP magazine: Xenia P. Montenegro, Ph.D., "Lifestyles, Dating and Romance: A Study of Midlife Singles," *AARP The Magazine*, September 2003, accessed August 2006 at http://www.aarp.org/research/family/lifestyles/aresearch-import-522.html.

The census-based comparisons come from L. A. Johnson, "Love for All," *Pittsburgh Post-Gazette*, October 9, 2005. This article also summarized the changes in dating preferences on Match.com.

Valerie Gibson was quoted on the ABC News Web site, "Are More Older Women with Younger Men?" May 5, 2005, <http://abcnews.go.com/Primetime/print?id=731599>, accessed August 2006.

The data on live births to women aged 40–44 and 45–49 come from the National Center for Health Statistics, Vital Statistics of the United States, 1994, Vol. 1, "Natality, Table 1–13," Live Births by Age, Race and Hispanic Origin of Mother: United States and Each State, 1994, accessed March 2007; and the National Vital Statistics Reports, Vol. 55, No. 1, Table 2, "Live Births by Age of Mother, Live-Birth Order, and Race of Mother: United States, 2004," September 29, 2006, accessed March 2007.

عشّاق في المكاتب

The Vault Survey, cited throughout, is their "Office Romance Survey," conducted January 2006, with 693 responses from employees representing a variety of industries across the U.S., accessed April 2007, at http://www.vault.com/nr/newsmain.jsp?nr page=3&ch id=420&article id=26126479.

The Hotjobs survey was accessed April 2007, at http://hotjobs.yahoo.com/jobseeker/about/press releases/021103.html.

The data on approval of co-worker relationships come from a 2005 CareerBuilder.com survey, "Office Romance," conducted in January 2005 of more than 1,300 workers, accessed April 2007, at http://www.careerbuilder.com/share/aboutus/pressreleasesdetail.aspx?id=pr160&sd=2/7/2005&ed=12/31/2005&cbRecursionCnt=1&cbsid=lda66156dedf4c9e83ee497e5c8abb8d-230303910-J5-5.

Data on singles in the workforce come from Marshall Loeb, "5 Tips to Consider When You Fall in Love on the Job," www.careerjournal.com, September 22, 2005; and Ellen R. McGrattan and Richard Rogerson, "Changes in Hours Worked, 1950–2000," Federal Reserve Bank of Minneapolis, *Quarterly Review*, Vol. 28, No. 1, July 2004.

Data on male versus female behavior come from "Interoffice Romance Survey," a joint survey sponsored by LexisNexis Martindale-Hubbell's Lawyers.com and *Glamour* magazine, August 12, 2004.

The SHRM study is Michael Parks, "2006 Workplace Romance: Poll Findings," a study by the Society for Human Resource Management and Careerjournal.com, January 2006.

Data on female Ph.D.'s come from U.S. Department of Education, National Center for Education Statistics, Higher Education General Information Survey (HEGIS), "Degrees and Other Formal Awards Conferred" surveys, 1976–77 through 1984–85, and Integrated Postsecondary Education Data System (IPEDS), "Completions" surveys, 1986–87 through 1998–99, and Fall 2000 through Fall 2002 surveys, table, prepared August 2003, accessible at http://nces.ed.gov/programs/digest/d03/tables/pdf/table270.pdf.

زواج المسيار

The *Times* story on the Clintons was Patrick Healy, "For Clintons, Delicate Dance of Married and Public Lives," *New York Times*, May 23, 2006.

Data on married couples in 2005 living apart from their spouses for reasons other than separation come from U.S. Census, accessed June 2006, at http://www.census.gov/population/socdemo/hh-fam/cps2005/tabA1-all.csv. The 1990 data come from http://factfinder.census.gov/servlet/DTTable? bm=y&-ds name=DEC 1990 STF3 & CONTEXT=dt&-mt name=DEC 1990 STF3 P027&-mt name=DEC 1990 STF3 P038&-redoLog=false&- caller=geoselect&geo id=01000US&-geo id=NBSP&-format=&-lang=en&-SubjectID=11745086.

The AARP data come from a January 11, 2005, KCET.org radio transcript, accessed June 2006, at http://www.kcet.org/lifeandtimes/archives/200501/20050111.php, quoting Nancy Griffin of *AARP The Magazine*.

For more from the Center for the Study of Long-Distance Relationships, and Dr. Gregory Guldner, see http://www.longdistancerelationships.net/.

In the International Picture, the Global Relocation Survey can be found at http://www.iht.com/articles/2004/03/27/rspouse ed3 1.php#. The Kuwait data come from "Foreign Workers in the Middle East," *Migration News*, Vol. 3, No. 4, December 1996. Data on Egypt and Saudi Arabia come from http://www.migrationdrc.org/research/regions/egypt themiddleeast.html, and the Saudi earnings data come from http://www.enews.ma/foreign-workers i39834 0.html. Data on Dubai come from Eric Weiner, "Thanks for Your Hard Work. Now Get Out!," *Slate*, August 15, 2005, accessed January 2007, at http://www.slate.com/id/2124497/fr/rss/.

زواج الإنترنت

The Pew study relied on this chapter is Mary Madden and Amanda Lenhart, "Online Dating," Pew Internet and American Life Project, March 5, 2006.

The online dating magazine Web site was accessed March 2007, at www.onlinedating magazine.com.

Marriage data come from National Vital Statistics Report, Vol. 54, No. 8, "Births, Marriages, Divorces, and Deaths, Provisional Data for June 2006."

The PSB poll of Internet Marrieds was conducted online on March 27–28, 2007.

2- الحياة العملية

المتقاعدون العاملون

The data on seniors in the workforce come from "Labor Force Participation of Persons Ages 62 and Over, 1982–2005," Current Population Survey (CPS), Bureau of Labor Statistics.

The data on vacation days worldwide come from the World Tourism Organization, whose Web site is http://www.world-tourism.org/. For more on unused vacation and working while on vacation, see Stephanie Armour, "U.S. Workers Feel Burn of Long Hours, Less Leisure," *USA*

Today, December 18, 2003; and "Annual Expedia.com Survey Reveals 51.2 Million American Workers Are Vacation Deprived," *April 25, 2007, accessed May 2007*, at http://press.expedia.com/index.php?s=press releases&item=372.

The Merrill Lynch survey report is "The Merrill Lynch *New Retirement* Survey: A Perspective from the Baby Boomer Generation," February 23, 2005. The survey itself interviewed 3,448 *U.S. baby boomers by phone* and online in February 2004.

For more on occupations preferred by older workers, see *"Old. Smart. Productive: Surprise! The Graying of the Workforce Is Better News than You Think," BusinessWeek, June 27, 2005.*

The traffic accident data come from National Highway Traffic Safety Administration, Table 63, "Driver Involvement Rates per 100,000 Licensed Drivers, by Age, Sex, and Crash Severity," accessed February 2007, at http://www-nrd.nhtsa.dot.gov/pdf/nrd-30/NCSA/TSFAnn/2004HTML/TSF2004.htm#chap2.

C. Eugene Steuerle, "Working to Fix Our Fiscal Woes," *Washington Post*, April 14, 2006. Thanks also to Dr. Steuerle for personally walking us through some of this analysis by telephone.

الانتقال من المنازل إلى أماكن العمل

Some key Extreme Commuter articles, from which some of the cited data are drawn, include Keith Naughton, "The Long and Grinding Road," *Newsweek*, May 1, 2006; "Extreme Commuting," *BusinessWeek Online*, February 21, 2005; and Debbie Howlett and Paul Overberg, "Think Your Commute Is Tough?," *USA Today*, November 29, 2004.

As of March 2007, the American labor force numbers 146.3 million people. See Bureau of Labor Statistics, "Employment Situation Summary," accessed April 2007, at http://www.bls.gov/news.release/empsit.nr0.htm.

Data on the average American commute come from U.S. Census, American Community Survey, press release of February 25, 2004, accessed June 2006, at http://www.census.gov/Press-Release/www/releases/archives/american community survey acs/001695.html.

Data on national commuting come from Clara Reschovsky, "Journey to Work: 2000," U.S. Census brief, issued March 2004.

The Midas Muffler contest was reported at Gary Richards, "Your Commute Is Bad? Try 186 Miles Each Way," Knight Ridder Newspapers, May 4, 2006.

Data on 2005 average sale prices of new homes come from U.S. Census, "Median and Average Sales Prices of New One-Family Houses Sold," accessed June 2006, at http://www.census.gov/const/C25Ann/soldmedavgprice.pdf.

"Worst Commute" data were reported in D'Vera Cohn and Robert Samuels, "Daily Misery Has a Number: Commute 2nd-Longest in U.S.," *Washington Post*, August 30, 2006.

Dr. Casada's insights and those of the Georgia Tech researchers are courtesy of "The Long and Grinding Road," cited above.

The ABC/*Washington Post* poll data come from Gary Langer, "Poll: Traffic in the United States," February 13, 2005, accessed June 2006, at http://abcnews.go.com/Technology/print?id=485098.

Robert Putnam, *Bowling Alone: The Collapse and Revival of American Community* (Simon & Schuster, 2000).

For articles helpful to the International Picture, see Vernon Silver, "Cheap European Flights Cater to Both Commuting Doctors and Drunken Revelers," *Bloomberg News*, February 23, 2007; "UK Commute 'Longest in Europe,'" *BBC News Magazine*, July 22, 2003; Sean

Coughlan, "The New Commuter Belt," *BBC News Magazine*, July 18, 2006; Matt Welch, "Fly the Frugal Skies," www.reasononline.com, January 2005; "The Rise of the Super-Commuter," www.cnn.com, April 12, 2005; Vernon Silver, "Ryanair Sparks Surgeon Commutes, European Vacation Home Frenzy," www.Bloomberg.com, February 22, 2007; and Keith Naughton, "Tailing the X-Commuter," *Newsweek International*, July 3–10, 2006.

أشخاص يعملون من المنزل

Trend data on Stay-at-Home Workers come from U.S. Census 2000: "Class of Worker for Workers Who Worked at Home for the United States: 1980 to 2000," accessed September 2006, at http://www.census.gov/population/cen2000/phc-t35/tab01-5.xls.

Demographic data on Stay-at-Home Workers come largely from "Selected Characteristics of Workers Who Worked at Home and Workers Who Did Not Work at Home for the United States: 2000," accessed September 2006, at http://www.census.gov/population/cen2000/phc-t35/tab01-2.pdf.

On the topic of Momtrepreneurs generally, see Mary-Beth McLaughlin, "Moms Spur Growth in Home Businesses," Scripps Howard News Service, November 14, 2006; and Jasmine D. Adkins, "For Women Consultants, Business Is Booming," *Inc.com*, July 19, 2006.

The American Business Collaboration study was cited in Eileen Gunn, "Working from Home Is Losing Its Stigma," *Wall Street Journal Online*, accessed April 2007, at http://www.startupjournal.com/howto/workhome/20041014-gunn.html.

Other articles useful to this chapter included "Getting a Home Office to Work for You," Associated Press, September 3, 2004; Eleena De Lisser and Dan Morse, "More Men than Women Working from Home," *Wall Street Journal Online*, accessed April 2007, at http://www.startupjournal.com/howto/workhome/1999062114 37-lisser.html; Hugo Martin, "Touting a Telecommunications Trade-Off," *Los Angeles Times*, August 22, 2001; and Jaimee Rose, "The Safety Zone: As Workplace, Home Has Hazards," *Los Angeles Times*, August 14, 2000.

نساء يسهبن في الكلام

For more on Larry Summers and the Women in Science flap, see James Traub, "Lawrence Summers, Provocateur," *New York Times*, January 23, 2005; and Cornelia Dean, "Bias is Hurting Women in Science, Panel Reports," *New York Times*, September 19, 2006.

The 2005 data on women in journalism come from the Bureau of Labor Statistics, Table 11, "Employed Persons by Detailed Occupation, Sex, Race, and Hispanic or Latino Ethnicity"; and Paul Farhi, "Men, Signing Off: As More Women Become TV Anchors and Reporters, Males Exit the Newsroom," *Washington Post*, July 23, 2006. Other useful articles on this issue include Suzanne C. Ryan, "The Vanishing Anchorman: The Number of Male Newscasters on TV Has Reached an All-Time Low. What's the Story?" *Boston Globe*, January 15, 2006; and Vicky Lovell, Ph.D., Heidi Hartmann, Ph.D., and Jessica Koski, "Making the Right Call: Jobs and Diversity in the Communications and Media Sector," Institute for Women's Policy Research, 2006, accessed on May 4, 2006, at http://www.iwpr.org/pdf/C364.pdf.

The 70 percent figure on women in public relations comes from Rick Hampson, "Women Dominate PR . . . Is That Good?" USA *Today*, April 25, 2001. As of 2007, it may be closer to 65 percent.

In 1971, there were 9,947 women lawyers. In 2000, there were 288,060. See American Bar Foundation, *Researching Law*, Vol. 16, No. 1, Winter 2005, p. 7. For the rest of the data on women and the law, see "Legal Education Statistics," Fall Enrollment 2004, American

Bar Association Section of Legal Education and Admissions to the Bar, January 25, 2005, accessed May 2007, at http://www.abanet.org/legaled/statistics/fall2004enrollment.pdf; National Association for Law Placement, November 2004, accessed May 2007, at http://www.nalp.org/press/details.php?id=53.

For data on women in the sciences, see the BLS source cited above; and James Dean, "Gender Gap Attracts Scrutiny: Women Remain Outnumbered at Science Schools," *Florida Today*, February 5, 2005. For more on women in business, see Carol Hymowitz, "Women Swell Ranks As Middle Managers," Associated Press Financial Wire, July 24, 2006.

The insights about "women's issues" climbing on the evening news come from the Farhi article cited above.

For more on women in teaching, see Chris Kenning, "Shortage of Male Teachers Worsens in Elementaries; Stereotypes Add to the Imbalance," *Courier-Journal* (Louisville, KY), November 22, 2004.

نساء يتشبهن بالرجال

For more on women's football leagues, see http://www.womensfootballcentral.com/teams.html; http://www.iwflsports.com/teams.php; and http://www.womensprofootball.com/teams.php.

More about women firefighters fighting discrimination can be found at Rick Barrett, "Firefighting Still Seen by Some as 'Last Male Bastion.'" *Milwaukee Journal Sentinel*, September 19, 2006; and at the Web site of Women in the Fire Service, Inc., http://www.wfsi.org/women and firefighting/faq.php.

Data on women police officers come from "Crime in the United States 2004," accessed April 2007, at http://www.fbi.gov/ucr/cius 04/law enforcement personnel/table 74.html.

Information on women in construction comes from the National Association of Women in Construction Web site, accessed February 2007, at http://www.nawic.org/.

Data on women in the military come from Department of Defense Personnel, 1960–2005, accessed February 2007, at http://www.census.gov/prod/2006pubs/07statab/defense.pdf.

The PSB poll was conducted online on April 2–3, 2007.

The study on gender and excessive force is the National Center for Women and Policing, "Men, Women and Police Excessive Force: A Tale of Two Genders," April 2002, accessed February 2007, at http://www.womenandpolicing.org/PDF/2002 Excessive Force.pdf.

The data on men's and women's marathon times come from Laura Pappano, "Gender Games," *Boston Globe*, September 28, 2003, accessed April 2007, at http://www.boston.com/news/globe/magazine/articles/2003/09/28/gender games/.

3- العرق والدين
سقف الزجاج الملون

Data on growth in women clergy come from the Bureau of Labor Statistics, "Employed Persons by Detailed Occupation and Sex, 1983–2002 Annual Averages." The data on women in divinity school are cited in Neela Banerjee, "Clergywomen Find Hard Path to Bigger Pulpit," *New York Times*, August 26, 2006. Data on religion majors come from the National Center on Education Statistics, accessed September 2006, at http://nces.ed.gov/programs/digest/d05/tables/xls/tabn262.xls and http://nces.ed.gov/programs/digest/d95/dtab242.asp.

The survey of women clergy was conducted by Laura S. Olson, Sue E. S. Crawford, and James L. Guth, "Changing Issue Agendas of Women Clergy," *Journal for the Scientific Study*

of Religion, June 2000, and reported in Martin E. Marty, "Women Clergy: The Numbers," accessed March 2007, at http://www.beliefnet.com/story/33/story 3340 1.html; and "Women Clergy: More Liberal, More Political?", *Religion Link*, accessed March 2007, at http://www .religionlink.org/tip 040120b.php.

The survey regarding women clergy being more caring was conducted and reported by Barbara Brown Zikmund, Adair T. Lummis, and Patricia M. Y. Chang, *Christian Century*, May 6, 1998, and accessed March 2007, at http://hirr.hartsem.edu/bookshelf/clergywomen summary.html.

The study of United Methodist clergywomen was conducted by Jesse Shultz et al. and summarized in "UF Study: Female Ministers Face Pettiness, Patriarchy and Pressures," June 9, 1999, accessed March 2007, at http://news.ufl.edu/1999/06/09/clergy/.

The reliance on Adam and Eve to ban women clergy was reported in Marc Schogol, "Black Women's Struggle to Serve from the Pulpit as Well as in the Pews," *Philadelphia Inquirer*, October 26, 1997.

Trend Data on various religions' membership come from http://www.demographia.com/db-religusa2002.htm; U.S. Census, Table 73, "Self-Described Religious Identification of Adult Population: 1990 and 2001," accessed September 2006, at http://www.census.gov/compendia/statab/tables/07s0073.xls; and Cathy Lynn Grossman, "'Code' and the Sacred Feminine," *USA Today*, May 23, 2006, accessed September 2006, at http://www.usatoday.com/news/religion/2006-05-23-code-women x.htm.

The data on hearts and heads come from a poll conducted by PSB in September 2006.

محبة السامية

The data regarding educational attainment among women of various religions were taken from the study conducted for Brooklyn College, CUNY, by Barry Kosmin and Ariela Keysar, "The Impact of Religious Identification on Differences in Educational Attainment Among American Women 2001," *Religion in a Free Market*, Paramount Market Publishing, 2005.

The Roper survey results cited were obtained from searches of the iPOLL Databank and other resources provided by the Roper Center for Public Opinion Research, University of Connecticut, *Survey by Fortune and Roper Organization, July 1939*, retrieved March 16, 2007, from the iPOLL Databank, the Roper Center for Public Opinion Research, University of Connecticut, <http://www.ropercenter.uconn.edu/ipoll.html>.

The Gallup poll regarding attitudes toward different religions can be found in the Gallup Poll News Service, "August Panel Survey," August 28–31, 2006.

The surprising number of non-Jews on JDate was brought to our attention by Sarah E. Richards, "You Don't Have to Be Jewish to Love JDate," *New York Times*, December 5, 2004.

The PSB poll was conducted in September 2006.

عائلات مختلطة الأعراق

Data on the number of interracial marriages in America come from Sharon M. Lee and Barry Edmonston, "New Marriages, New Families, U.S. Racial and Hispanic Intermarriage," *Population Bulletin*, a publication of the Population Reference Bureau, Vol. 60, No. 2, June 2005, p. 11. Thanks to Mr. Edmonston himself for helping us navigate the data.

Data on American attitudes toward interracial marriage come from Allison Stein Wellner, "U.S. Attitudes Toward Interracial Dating Are Liberalizing," www.prb.com, June 2005, citing RoperASW, *Roper Reports* 03–3 (unpublished study). The Pew study cited is a Pew Research

Center Social Trends Report, "Guess Who's Coming to Dinner," released March 14, 2006. That study also contains views on interracial dating by age. The Gallup study is Gallup Poll News Service, "Acceptance of Interracial Marriage at Record High," June 1, 2004.

Much of the interracial adoption data come from Lynette Clemetson and Ron Nixon, "Breaking Through Adoption's Racial Barriers," *New York Times*, August 16, 2006. For more on international adoptions, see Sharon Jayson, "New Generation Doesn't Blink at Interracial Relationships," *USA Today*, February 7, 2006.

Data on youth interracial dating come from Ely Portillo and Frank Greve, "Social Integration in the U.S., Including Cohabiting and Marriage, Is Surging," McClatchy Newspapers, July 20, 2006; data regarding members of match.com come from http://www.miami.com/mld/miamiherald/15084469.htm?template=contentModules/printstory.jsp, accessed October 2006.

The survey of interracial couples was conducted March 29–May 20, 2001, by ICR/International Communications Research for the *Washington Post*, and reported at "Race, Dating, and Marriage," July 5, 2001, accessed October 2006, at http://www.washingtonpost.com/wp-srv/nation/sidebars/polls/couples.htm.

Another article useful to this chapter includes Steve Sailer, "2000 Census Shows Interracial Marriage Gender Gaps Remain Large," UPI, March 14, 2003.

Data for the International Picture come from Norimitsu Onishi, "Betrothed at First Sight: A Korean-Vietnamese Courtship," *New York Times*, February 22, 2007; "The Family—International Marriages More Common," *Daily Yomiuri* (Tokyo), December 3, 2005; "Vietnamese Decree to Tighten Foreign Marriage," Deutxhe Presse-Agentur, July 26, 2006; and "More Russian Women Marry Foreigners," TASS, January 15, 2007.

اللاتين البروتستانت

Thanks to my friend and colleague Sergio Bendixen for his review of and thoughtful reflections on this chapter.

Data on the Latino population in America come from U.S. Census, "Nation's Population One-Third Minority," accessed April 2007, at http://www.census.gov/Press-Release/www/releases/archives/population/006808.html.

Data on Latinos and Catholicism, including the data on Latino priests, come from Bruce Murray, "Latino Religion in the U.S.: Demographic Shifts and Trends," accessed August 2006, at http://www.facsnet.org/issues/faith/espinosa.php.

The book cited is Gaston Espinosa, Virgilio Elizondo, and Jesse Miranda, editors, *Latino Religions and Civic Activism in the United States* (Oxford University Press, 2005). The 2003 study on Hispanic churches in American public life is a preliminary study by the same authors.

A useful article on the question of why Hispanics are drawn to Pentecostalism, as well as the Pentecostals' assertive outreach tactics, is Arian Campo-Flores, "The Battle for Latino Souls," *Newsweek*, March 21, 2005.

The data on Latino voting in 2004 come from Roberto Suro, Richard Fry, and Jeffrey Passel, "Hispanics and the 2004 Election: Population, Electorate, and the Voters," Pew Hispanic Center, June 27, 2005. The data on 2006 Latino voting are also from the Pew Hispanic Center, "Latinos and the 2006 Mid-Term Election," released November 27, 2006, and accessed December 2006, at http://pewhispanic.org/files/factsheets/26.pdf.

The PSB poll of Latinos was conducted by telephone, March 5, 2006.

المسلمون المعتدلون

Data on American attitudes toward Islam come from a CBS News poll, "Sinking Perceptions of Islam," conducted April 6–9, 2006, accessed September 2006, at http://www.cbsnews.com/stories/2006/04/12/national/main1494697.shtml; and Lydia Saad, "Anti-Muslim Sentiments Fairly Commonplace," *USA Today*/Gallup Poll conducted July 28–30, 2006. Other useful articles on attitudes toward Muslims include Claudia Deane and Darryl Fears, "Negative Perception of Islam Increasing," *Washington Post*, March 9, 2006.

Most of the data on Muslims' own attitudes and demographics come from "Muslims in the American Public Square," a poll conducted by ProjectMAPS and Zogby International, August 5–September 15, 2004 (hereafter, "MAPS Poll"). Comparison data with Americans in general come from Darren K. Carlson, "Americans Softening on Tougher Gun Laws?," Gallup Polls, November 30, 2004; and Harris Interactive Poll No. 80, October 31, 2006 (on attending religious services), and Harris Interactive Poll No. 19, March 9, 2005 (on political affiliation).

For more on recent Muslim immigration, see Andrea Elliott, "More Muslims Arrive in US, After 9/11 Dip," *New York Times*, September 10, 2006.

Data on the growth of mosques come from www.usinfo.state.gov, "Demographic Facts," accessed December 2006, at http://usinfo.state.gov/products/pubs/muslimlife/demograp.htm.

For more on the American Muslim Alliance, see its Web site at http://www.amaweb.org/, and Lee Hudson Teslik, "A Muslim for the Hill?," *Newsweek*, September 13, 2006.

Data on the Muslim electorate's shift in 2004 come from MAPS Poll, cited above.

The Social Policy and Understanding survey was conducted by Ihsan Bagby and reported at "A Portrait of Detroit Mosques: Muslim Views on Policy, Politics, and Religion," Institute for Social Policy and Understanding, 2004, accessed December 2006, at http://www.ispu.us/go/images/F000196/Detroit Mosque Exec Summary.pdf. The report is not without its critics, who claim that the author exaggerates American Muslim moderation. The Khan piece is M. A. Muqtedar Kahn, "The Remarkable Moderation of Detroit Muslims," *Detroit News*, July 4, 2004, accessed December 2006, at http://www.ijtihad.org/Moderation%20of%20American%20Muslims.htm.

For more on the American Islamic Congress, see its Web site at http://www.aicongress.org/. For more on the Free Muslims Coalition and Kamal Nawash, see http://www.freemuslims.org/ and Don Oldenburg, "Muslims' Unheralded Messenger," *Washington Post*, May 13, 2005.

Resources useful to the International Section included "An Uncertain Road: Muslims and the Future of Europe," Pew Forum on Religion and Public Life, October 2005, accessed December 2006, at http://pewforum.org/publications/reports/muslims-europe-2005.pdf; and Omar Taspinar, "Europe's Muslim Street," *Foreign Policy*, March 2003. The Pew Global Attitudes Project was reported at "Muslims in Europe: Economic Worries Top Concerns About Religious and Cultural Identity," Pew Global Attitudes Project, released July 6, 2006, accessed December 2006, at http://pewglobal.org/reports/display.php?ReportID=254.

4- الصحة والعافية
كارهو الشمس

The tanning parlor–Starbucks comparison comes from Julie Rawe, "Why Teens Are Obsessed with Tanning," *TIME*, August 7, 2006, pp. 54–56.

The 2002 survey on attitudes toward suntanning was released by the American Academy of Dermatology on April 24, 2002.

Data on the tanning industry come largely from Helene Blatter, "The Tanning Dilemma Sun-Bathers: Sun-Bathers Know Risks, but Seek Bronzed Skin Anyway," *Riverside Press Enterprise*, July 23, 2006; Jacob E. Osterhout, "Know It All," *New York Daily News*, July 10, 2005; Valerie Nienberg, "Shedding Lights on Sunless Tans," *Jupiter Courier* (Florida), November 17, 2004.

For more on teen tanning habits, see Paul Vitello, "Skin Cancer Up Among Young; Tanning Salons Become Target," *New York Times*, August 14, 2006, <http://www.nytimes.com/2006/08/14/nyregion/14tanning.html?ex=1168491600&en=4e9037ae8e8b00ff&ei=5070>, accessed August 2006; and Alan C. Gellar et al., "Use of Sunscreen, Sunburning Rates and Tanning Bed Use Among More than 10000 U.S. Children and Adolescents," *Pediatrics*, Vol. 109, No. 6, June 2002, <http://pediatrics.aappublications.org/cgi/reprint/109/6/1009>, accessed January 8, 2007.

Unless otherwise noted, skin damage and cancer data come from the American Cancer Society, "Estimated New Cancer Cases and Deaths by Sex for All Sites, United States, 1997 to 2006," Cancer Facts and Figures, <http://www.cancer.org/downloads/STT/CAFF2007PWSecured.pdf>.

Helpful articles on the sun-safe clothing and sun protection product industry include Business Wire, "SunGuard™ Laundry Aid Helps Clothing Block More than 96 Percent of Harmful UV Rays; This Next Generation in Sun Protection Washes-In a UPF of 30," July 27, 2005; Richard A. Marini, "Shun the Sun; Clothing Protects Against Harmful Rays," *San Antonio Express-News*, May 13, 2004; SunGuard™, <http://www.sunguardsunprotection.com>, accessed January 2007.

ساهرو الليل

Data on Americans' sleep habits come from "2005 Sleep in America Poll," National Sleep Foundation, released March 29, 2005, accessed October 2006, at http://www.sleepfoundation.org/site/c.huIXKjM0IxF/b.2417141/k.C60C/Welcome.htm. Other useful online resources include www.sleep-deprivation.com and www.sleepapneainfo.com.

Articles useful to this chapter include "New Study Shows People Sleep Even Less Than They Think," *Science Daily*, July 3, 2006; accessed October 2006, at http://www.sciencedaily.com/releases//2006/07/060703162945.htm; and Stefan Lovgren, "US Racking Up Huge Sleep Debt," *National Geographic News*, February 24, 2005.

Traffic accident data come from "Drowsy Driving and Automobile Crashes," published at www.nhtsa.dot.gov, accessed October 2006, at http:www.nhtsa.dot.gov/people/injury/drowsydriving1/Drowsy.html.

For more on the sleeping pill industry, see http://www.livescience.com/humanbiology/060323 sleep deprivation.html. For more on the caffeine industry, see Melanie Warner, "A Jolt of Caffeine, by the Can," *New York Times*, November 23, 2005.

The Web site for Metronaps is http://www.metronaps.com.

The international data come largely from a 2005 ACNielson study accessed January 2007, at http://asiapacific.acnielson.com/news/20050228.shtml.

أعسر دون قيود

Caveman southpaw data were reported in Alexandra Witze, "Study Takes Left-Hands-On Approach," *Dallas Morning News*, October 12, 2003.

For more on the causes of handedness, see David E. Rosenbaum, "On Left-Handedness, Its Causes and Costs," *New York Times*, May 16, 2000.

For more on the disputed effects of left-handedness on human health, see Nicole Frehsee, "All Is Not Right in the World of the Lefty," Fort Lauderdale *Sun Sentinel*, October 29, 2005. For more on Southpaw earnings, see Joel Waldfogel, "Sinister and Rich," *Slate*, August 16, 2006.

The discussion of lateralization of the brain among animals comes from Amanda Onion, "The Left-Handed Advantage," *ABC News*, February 17, 2005.

For more on the religious heritage of left-handedness as sin, including the Ayatollah Khomeini reference, see "All Is Not Right in the World of the Lefty," cited above; and Kathleen Laufenberg, "For Centuries, Being Left-Handed Was More than Just Inconvenient," *Tallahassee Democrat*, January 29, 2002.

The UCLA study is K. Hugdahl, et al., "Left-Handedness and Old Age: Do Left-Handers Die Earlier?," *Neuropsychologia*, Vol. 4, 1993, pp. 325–33, cited in Thomas H. Maugh II, "Lefties Don't Die Young After All, Study Reports," *Los Angeles Times*, April 4, 1993.

The higher incidence of left-handedness in twins is noted in "On Left-Handedness, Its Causes and Costs," cited above. The data on the greater likelihood of lefties being born to older Moms come from Stanley Coren, psychologist at the University of British Columbia, and reported at "The Left-Handed Advantage," cited above.

The study on prevalence of left-handedness among gays is cited in "All Is Not Right in the World of the Lefty," cited above.

Famous left-handers are reported in multiple sources, including the "Famous Left-Handers" Web site, http://www.indiana.edu/~primate/left.html.

For more on lefty advantages in sports, see Childs Walker, "Some Lefties Do All Right," *Baltimore Sun*, November 16, 2006; and Alan Blondin, "No Longer Taboo, Golf Is Seeing the Emergence of the . . . Lefties," *Myrtle Beach Sun-News*, September 8, 2006.

The BlackBerry/Research in Motion story comes from Tyler Hamilton, "Business Tries to Right Wrongs for Lefties," *Toronto Star*, August 13, 2004.

الطبابة الذاتية

Over-the-counter drug sale data come from ACNielson research posted on the Consumer Healthcare Products Association Web site, "OTC Retail Sales—1964–2005," <http://www.chpa-info.org/ChpaPortal/PressRoom/Statistics/OTCRetailSales.htm>, accessed March 2007.

The information on complementary and alternative medicine can be found at "CAM Links—Williamson Street Co-op," <http://www.livingnaturally.com/common/adam/CAM_Links.asp?storeID=3ED1FF6A18BD42979FFF73C8E8CD4512>, accessed August 2006.

The figures on Internet use to find medical information come from "Number of 'Cyberchondriacs'—Adults Who Have Ever Gone Online for Health Information—Increases to an Estimated 136 Million Nationwide," Harris Interactive, August 1, 2006, <http://www.harrisinteractive.com/harris_poll/index.asp?PID=686>, accessed August 2006.

Trends regarding health care costs come from "Health Insurance Cost," National Coalition on Health Care, <http://www.nchc.org/facts/cost.shtml>, accessed August 2006.

Trends regarding Americans' trust in doctors are described in "Americans Are Concerned About Hospital Based Medical and Surgical Errors," Harris Interactive, <http://www.harrisinteractive.com/news/allnewsbydate.asp?NewsID=825>, accessed August 2006.

Hospital infections kill between 44,000 and 98,000 Americans per year; see "To Err Is Human: Building a Safer Health System," Institute of Medicine of the National Academies, <http://www.iom.edu/id=12735>, accessed August 2006. Breast cancer is expected to kill about 40,000 Americans in 2007; see American Cancer Society Web site at http://www.cancer.org/docroot/stt/stt 0.asp, accessed April 2007. Car accidents kill approximately 42,000 Americans per year; see data from National Highway Traffic Safety Administration, reported at http://money.cnn.com/2005/08/01/Autos/nhtsa death stats/, accessed April 2007. AIDS kills approximately 17,000 Americans per year; see 2005 data reported at http://www.cdc.gov/hiv/topics/surveillance/basic.htm#hivest, accessed April 2007.

The graph on public confidence in the medical institution was provided by Robert Blendon at the Harvard Public Health Review, and first published in Cathryn Delude, "Crisis of Confidence," *Harvard Public Health* Review, Fall 2004, <http://www.hsph.harvard.edu/review/review_fall_04/rvw_trust.html>, accessed August 2006.

Data on women and health care decisions are provided on "Women, OTCs and Health in the United States," Consumer Health Education Center, http://www.checforbetterhealth.org/Chec/Media/Facts_Stats/Women_OTCs_FastFacts.as px>, accessed August 2006.

Data on growth in spending on direct-to-consumer ads come from Milt Freudenheim, "Showdown Looms in Congress over Drug Advertising on TV," *New York Times*, January 22, 2007.

The data on patient interest in e-mailing their doctors come from "New Poll Shows US Adults Strongly Favor and Value New Medical Technologies in Their Doctor's Office," Harris Interactive, <http://www.harrisinteractive.com/news/allnewsbydate.asp?NewsID=930>, accessed August 2006.

صعوبات السمع

The survey regarding presidents Clinton and Reagan is from Gallup Poll News Service, "Americans' Retrospective Approval of Clinton Improving," conducted June 1–4, 2006; accessed September 2006, at http://www.galluppoll.com/content/?ci=23362.

Data on Americans' hearing loss come from the Web site of the American Speech-Language-Hearing Association, accessed September 2006, at http://www.asha.org/public/hearing/disorders/prevalence adults.htm.

The Navy's challenges with eye surgery were reported at David Cloud, "Perfect Vision Is Helping and Hurting Navy," *New York Times*, June 20, 2006.

Data on the elderly and their hearing loss come from http://www.census.gov/cgi-bin/ipc/idbagg and http://www.asha.org/public/hearing/disorders/prevalence adults.htm.

The Deafness Research Foundation data, including the decibels of household noises, can be found at http://www.drf.org/hearingbalanceresearch.htm.

Demographic data on the hard of hearing come from the National Institute on Deafness and Other Communication Disorders, "Statistics About Hearing Disorders, Ear Infections, and Deafness," accessed September 2006, at http://www.nidcd.nih.gov/health/statistics/hearing.asp; and "Non-Hispanic Blacks May Have Best Hearing in U.S.," June 12, 2006, accessed September 2006, at http://www.insidescience.org/reports/2006/010.html.

Helpful articles on the future of treatments for the hard-of-hearing include Linda Marsa, "Auditory Achilles' Heel," *Los Angeles Times*, January 16, 2006; "Antioxidants May Sound Hope for Hearing Loss," Associated Press, October 12, 2003; "UB, Military Collaborate on Design, Testing of First Drug to Prevent Noise-Induced Hearing Loss," December 2003, accessed April

2007, at http://www.medicalnewstoday.com/medicalnews.php?newsid=4915; and "Stem Cells May Be Key to Deafness Cure," *CBS News*, August 7, 2006.

For more on the mosquitotone, see Paul Vitello, "A Ring Tone Meant to Fall on Deaf Ears," *New York Times*, June 12, 2006.

5- الحياة العائلية

آباء جدد طاعنون في السن

The birth rate data in this chapter come largely from the National Center for Health Statistics, Centers for Disease Control, U.S. Department of Health and Human Services; Mark O'Keefe, "The Joys and Pitfalls of Late-Life Fatherhood," New House News Service, http://www.newhousenews.com/archive/okeefe061504.html, accessed September 2006; and Joyce A. Martin, M.P.H., et al., "Births: Final Data for 2004," *National Vital Statistics Reports*, Vol. 55, No. 1, September 29, 2006. International data come from *United Nations Demographic Yearbook: Focusing on Natality*, "Live-Birth Rates Specific for Age of Father: 1990–1998."

The phrase "Do-Over Dads" was coined, as far as we know, by Carlene Hempel, "Do-Over Dads," *Boston Globe*, November 6, 2005 The vasectomy statistics come from her article as well.

مالكو الحيوانات الأليفة

Pet ownership statistics, as well as data on the size of the pet products industry, come largely from the Web site of the American Pet Products Manufacturers Association, Inc., accessed October 2006, at http://www.appma.org/press industrytrends.asp.

Data on households with children come from U.S. Census, accessed October 2006, at http://www.census.gov/population/socdemo/hh-fam/hh1.xls.

The figure on pet owners paying anything to save their pet's life comes from http://www.emaxhealth.com/116/6885.html, reporting on a 2005 study conducted of Veterinary Pet Insurance policyholders.

Other articles useful to this chapter, from which several data points and anecdotes come, include Janis Fontaine, "Pet Ownership, Related Spending on the Rise," *Palm Beach Post*, May 26, 2005; "Pet Spending at All Time High," *Business Wire*, April 5, 2006; Sandy Robins, "New Products Pamper Pet from Head to Tail," April 27, 2005, accessed October 2006, at http://www.msnbc.msn.com/id/6142671/; Joan Verdon, "Pets Rock! Human Companies Going to the Dogs (and Other Beasts)," *The Record* (Bergen County, NJ), April 7, 2006; and Larisa Brass and Carly Harrington, "For Pet's Sake: More Owners Going All Out for Their Little Charges," *Knoxville News-Sentinel*, December 18, 2005.

For more on Honda's Wow, see Will Iredale, "Dog-Friendly Car Takes a Bow-Wow," *The Sunday Times* (London), October 9, 2005; accessed October 2006, at http://www.timesonline.co.uk/article/0,,2087-1817415,00.html.

أهل يدللون أطفالهم

Benjamin Spock, *Common Sense Book of Baby and Child Care* (Pocket Books, 1946).

The data on the growth in parenting books come from Neil Swidey, "All Talked Out," *Boston Globe*, November 7, 2004.

Data on the size of the baby-product industry come from Matthew Boyle, "The $5 Million Diaper Bag," *Fortune*, April 19, 2006.

The PSB polls were conducted online October 27–29, 2006, and December 13, 2006. Eligible respondents were adults who had children under 18 living at home with them.

For more on "Ferberizing," see the original at Richard Ferber, M.D., *Solve Your Child's Sleep Problems* (Simon & Schuster, 1985); the 2006 version is called *Solve Your Child's Sleep Problems: New, Revised, and Expanded Edition*.

The data on attitudes toward spanking come from Murray A. Strauss and Anita K. Mathur, "Social Change and Trends in Approval of Corporal Punishment by Parents from 1968 to 1994," accessed July 2006, at http://www.dadsnow.org/studies/strauss1.htm; and Julie Crandall, "Support for Spanking: Most Americans Think Corporal Punishment Is OK," ABCNEWS .com, November 8, 2004. The death penalty data come from an October 2006 Gallup poll, accessed December 2006, at http://www.galluppoll.com/content/?ci=1606&pg=1. For more on rural crime dropping more slowly in the 1990s than urban or suburban crime, see "Rural Crime Facts," National Center on Rural Justice and Crime Prevention," accessed February 2007, at http://virtual.clemson.edu/groups/ncrj/rural crime facts.htm.

Data on the use of the V-chip come from a July 24, 2001, press release by the Kaiser Family Foundation, accessed December 2006, at http://www.kff.org/entmedia/3158-V-Chip-release .cfm.

In the International Picture, the data on states and countries that approve corporal punishment come from http://www.stophitting.com/disatschool/statesBanning.php.

For more on the U.K.'s Children are Unbeatable! Alliance, see http://www.children areunbeatable.org.uk/. Their survey data were cited in "Majority 'Support' Smacking Ban," *BBC News*, May 19, 2004, accessed December 2006, at http://news.bbc.co.uk/1/hi/uk/3727295 .stm.

The study on global attitudes toward pressure on kids is Richard Wike and Juliana Menasce Horowitz, "Parental Pressure on Students Not Enough in America; Too Much in Asia," Pew Global Attitudes Project, August 24, 2006, accessed January 2007, at http://pewresearch.org/ pubs/55/parental-pressure-on-students-not-enough-in-america-too-much-in-asia.

Data on U.S. placement on the global mathematics literacy test come from M. Lemke et al., "International Outcomes of Learning in Mathematics Literacy and Problem Solving," National Center for Education Statistics, 2004, accessed December 2006, at http://nces.ed.gov/ pubs2005/2005003.pdf.

شواذ يظهرون لاحقاً

Biographical information regarding former governor Jim McGreevey comes from James E. McGreevey with David France, *The Confession* (HarperCollins 2006).

Useful articles for this trend included Melissa Fletcher Stoeltje, "Spouses Feel Pushed Aside When Mate Reveals Homosexuality," *San Antonio Express News*, July 3, 2005; Katy Butler, "Many Couples Must Negotiate Terms of 'Brokeback' Marriages," *New York Times*, July 7, 2006; Jane Gross, "Windows to the Closet," *New York Times*, November 1, 2004.

The National Survey of Family Growth data can be found at William D. Mosher, Ph.D., Anjani Chandra, Ph.D., and Jo Jones, Ph.D., Division of Vital Statistics, "Sexual Behavior and Selected Health Measures: Men and Women 15–44 Years of Age, United States, 2002," Table 7, accessed February 2007, at http://www.cdc.gov/nchs/data/ad/ad362.pdf.

Data on American attitudes toward homosexuality cited in this chapter are summarized by the Gallup Poll, accessed January 2007, at http://www.galluppoll.com/content/Default .aspx?ci=1651&pg=1&VERSION=p.

The blog www.comingoutat48.blogspot.com was quoted in Jane Gross, "When the Beard Is Too Painful to Remove, *New York Times*, August 3, 2006.

Data on spouses and children come largely from Katy Butler's article, cited above.

Marriage statistics come from http://www.cdc.gov/nchs/data/mvsr/supp/mv43 12s.pdf (the 1980 number); National Vital Statistics Report, Vol. 54, No. 8, "Births, Marriages, Divorces, and Deaths; Provisional Data for June 2006."

For the Jason Stuart joke, we are grateful to Joe Kort, "The New Mixed Marriage: When One Partner Is Gay," originally published in the *Psychotherapy Networker*, September 2005, accessed January 2007, at http://www.joekort.com/joekort the new mixed marriage.htm.

أبناء بررة

The main study relied on in this piece is "Caregiving in the U.S.," National Alliance for Caregiving and AARP, released April 2004.

Life expectancy data come from the Centers for Disease Control: Table 27, "Life Expectancy at Birth, at 65 Years of Age, and at 75 Years of Age, by Race and Sex: United States, Selected Years 1900–2004," accessed April 2007, at http://www.cdc.gov/nchs/data/hus/hus06 .pdf#027.

The Napolitano piece is Peter Napolitano, "Modern Love; Close Enough for Momma, Too Close for Me," *New York Times*, December 24, 2006.

Figures on the value lost to companies from absentee workers come from Jane Gross, "As Parents Age, Baby Boomers and Businesses Struggle to Cope," *New York Times*, March 25, 2006.

6- السياسة

نُخب سريعة التأثر

The Friedman book is, of course, Thomas L. Friedman, *The World Is Flat: A Brief History of the 21st Century* (Farrar, Straus & Giroux, 2005).

The income data come from David Cay Johnston, "Income Gap Is Widening, Data Shows," *New York Times*, March 29, 2007.

The PSB poll was 806 telephone interviews among likely 2008 presidential voters, including an oversample of 400 very likely Democratic presidential primary voters.

Cited journalists and articles include Mark Leibovich, "Listening and Nodding, Clinton Shapes '08 Image," *New York Times*, March 6, 2007; and Christopher Cooper and Ray A. Smith, "Style on the Stump," *Wall Street Journal*, March 31, 2007.

Useful articles on 527s and their record fund-raising include Chris Suellentrop, "Follow the Money," *Boston Globe*, June 26, 2005; and John Broder, "Campaign 2006: 527 Groups Set to Spend Big on Negative Political TV Ads," *New York Times*, October 11, 2006.

التأرجح لا يزال سيد الموقف

An earlier version of this piece was published in the *Washington Post* by Mark J. Penn, "Swing Is Still King at the Polls," on March 21, 2006.

The data on the growing number of Independents come from Gallup: in January 1966, 23 percent of voters called themselves Independent (see Q98 at http://brain.gallup.com/documents/questionnaire.aspx?STUDY=AIPO0723); in April 2007, 36 percent of voters did (see http://www.galluppoll.com/content/default.aspx?ci=15370).

The California data come from Report of Registration, Historical Registration Statistics, February 10, 2003, and February 10, 2005, accessed February 2006, at http://www.ss.ca.gov/elections/ror/reg stats 02 10 05.pdf and http://www.ss.ca.gov/elections/ror/regstats 02-10-03.pdf.

Split-ticket voter information comes from the American National Election Studies Guide to Public Opinion and Electoral Behavior, "Split-Ticket Voting Presidential/Congressional, 1952–2004," accessed February 2006, at http://www.umich.edu/~nes/nesguide/toptable/tab9b 2.htm.

Congressional ballot data come from Gallup, "Election 2006," accessible at http://brain .gallup.com/content/?ci=4534.

CNN exit poll data for 2004, 2000, and 1996, respectively, were accessed at http://www .cnn.com/ELECTION/2004/pages/results/states/US/P/00/epolls.0.html, http://www.cnn.com/ ELECTION/2000/results/index.epolls.html, http://www.cnn.com/ALLPOLITICS/1996/elections /natl.exit.poll/index1.html.

مهاجرون غير شرعيين مكافحون

Thanks to my friend and colleague Sergio Bendixen for his review and thoughtful comments on this chapter.

Directed by Fred W. Friendly and starring Edward R. Murrow, *Harvest of Shame* was a documentary aired on *CBS News* on Thanksgiving 1960.

The Sensenbrenner bill was H.R. 4437, the Border Protection, Anti-Terrorism, and Illegal Immigration Control Act of 2005, passed by the 109th Congress on December 16, 2005. It did not pass the Senate.

Data on the Hispanic electorate come from Roberto Suro, Richard Fry, and Jeffrey Passell, "Hispanics and the 2004 Election: Population, Electorate, and Voters," Pew Hispanic Center, June 27, 2005. For 2004 exit poll data, see http://us.cnn.com/ELECTION/2004/ pages/results/states/US/P/00/epolls.0.html.

The state-by-state data on the Hispanic electorate in the graph come from U.S. Census, http://www.census.gov/population/socdemo/voting/cps2004/tab04a.xls (for 2004) and http:// www.census.gov/population/socdemo/voting/p20-466/tab04.pdf (for 1992).

The 2006 Pew Study was Roberto Suro and Gabriel Escobar, "2006 National Survey of Latinos," Pew Hispanic Center, July 13, 2006. Data on actual Latino performance in the 2006 midterm elections come from "Latinos and the 2006 Mid-term Election," Pew Hispanic Center, November 27, 2006.

The 2006 Gallup data on Latino party identification come from Gallup's annual Minority Rights and Relations poll, reported July 6, 2006.

The New Democrat Network poll is "Inside the Mind of Hispanic Voters," conducted June 24–July 1, 2006, by LatinInsights, and released July 19, 2006.

Health insurance and education data among Latino immigrants are drawn from Steven A. Camarota, "Immigrants at Mid-Decade: A Snapshot of America's Foreign-Born Population in 2005," Center for Immigration Studies, December 2005.

صهاينة نصارى

Data on American support of Israel can be found at Gallup poll, "Perceptions of Foreign Countries," February 1–4, 2007, accessed April 2007, at http://www.galluppoll.com/content/ default.aspx?ci=1624&pg=2.